



جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية



بعض القضايا التربوية في فكر مالك بن نبي

"دراسة وصفية تحليلية في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة"

مشروع مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د.)
تخصص علم اجتماع التربية

إشراف الدكتور:

بلال بوترعة

إعداد الطالبة:

سليمة ذياب

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
فوزي لوحيدي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
بلال بوترعة	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا و مقررا
كريمة محمدي	استاذ مساعد أ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 2016 / 2017

قال الله تعالى:

"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ" ٥

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

أولاً وقبل كل شيء أشكر الله العلي القدير الذي أنعم علياً بنعمة العقل والدين، وأحمده عز وجل الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على القيام بهذا البحث.

*أتوجه بفيض من الشكر المقرون بعظيم الإمتنان ، إلى مرمز العلم و التواصل والعطاء: الدكتور "بلال بوترعة" لقبوله الإشراف على هذا البحث رغم إنشغالاته الكثيرة، فقد مدّ لي يد العون دون ضجر وبكل صدر مرحب وابتسامة دائمة ، للسير قدماً بالدراسة نحو الأفضل، سائلة المولى القدير أن يجزيه عني خير الجزاء ويرزقه الفردوس الأعلى . كذلك أشكر الدكتور عمر تقيب جامعة بونز رابعة على توجيهاته القيمة .

* أسمى آيات الشكر إلى الأستاذ "خميس معلول"، نروحي الغالي مرمز كل شيء جميل وقيم، سائلة المولى عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء ويرزقه رفقة رسول الكرم .

* وأتقدم بالشكر الخاص إلى الصيدلانية الراقية ألفت، والمحاسب المبدع عماد، والأستاذة المتألقة دنيا، و البيطرية الحلوة هادثة لصبرهم عليا، سائلة المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء .

* أتقدم بجزيل الشكر إلى مرمز القيادة و المرونة : الدكتور "لنهر ضيف" ، فله خالص التقدير ووافر الامتنان، سائلة المولى عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء ويرزقه الفردوس الأعلى .

* وأيضا وفاءً وتقديراً واعترافاً مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر إلى مرمز العبقرية : الدكتور "فوزي لوحيدي"، إنراء ووقوفه معي في مشواري الدراسي، وعلى مده يد العون لي فجزاه الله عني خير الجزاء، سائلة المولى عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء ويرزقه الفردوس الأعلى .

وختاماً نسال الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يجعله علماً نافعاً، ويسهل لنا به طريقاً إلى الجنة.

ملخص الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحليل مضمون كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة لمالك بن نبي، للكشف عن أهم القضايا التربوية التي لها علاقة بالأنظمة التالية: الاجتماعي، والأخلاقي، والثقافي. وكذا القيام بترتيبها حسب البيانات التي تحصلنا عليها من خلال أداة تحليل المضمون.

وللإجابة على أسئلة الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي في تحليل الكيفي واستعانت في عملية التحليل الكمي بأداة تحليل المضمون التي شملت الفئات التالية: القضايا التربوية المتعلقة (بالنظام الاجتماعي وبالنظام الأخلاقي، وبالنظام الثقافي)، وحدة التحليل كانت هي وحدة الموضوع، تم اختيار العينة بطريقة قصدية وتمثلت في كتابي مالك بن نبي: ميلاد مجتمع وشروط النهضة. إستعملت الباحثة التكرارات والنسب المئوية في عملية التحليل الكمي. وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية :

- بالنسبة للقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي تحصلت على المرتبة الأولى في كلا الكتابين، حيث تمحورت جل الأفكار التربوية بهما حول الفكرة الدينية.
- بينما ترتبت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في المرتبة الثانية والقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في المرتبة الثالثة في كتاب ميلاد مجتمع، وكانت شبكة العلاقات الاجتماعية (بعد الفكرة الدينية) محور جل الأفكار التربوية في هذا الكتاب.
- وفي كتاب شروط النهضة جاءت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في المرتبة الثانية، والقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في المرتبة الثالثة، وتمحورت جل الأفكار التربوية بالكتاب حول عناصر النهضة وكيفية وتوجيهها. يرجع هذا إلى أن فكر مالك بن نبي كان منصب على تحليل المشكلات المتعلقة بالإنسان.

Résumé de l'étude

Cette étude vise à analyser le contenu de deux ouvrages de Malik bin Nabi : "Naissance d'une société" et "Les Conditions de la Renaissance", en vue de révéler les plus importantes questions éducatives liées aux systèmes : social , éthique et culturel. Ainsi que leur classement selon les données acquises grâce à l'outil d'analyse de contenu.

Pour répondre aux questions de l'étude, la chercheuse a utilisé l'approche descriptive dans l'analyse qualitative et engagée, dans le processus de l'analyse quantitative, l'outil d'analyse du contenu qui comprend les catégories suivantes: questions éducatives liées (au système social, au système éthique, et au système culturel), l'unité d'analyse était l'unité du sujet. L'échantillon représenté dans les deux ouvrages de Bin Nabi : "Naissance d'une société" et "Les Conditions de la Renaissance", a été choisi d'une façon délibérée. La chercheuse a utilisé les fréquences et les pourcentages dans le processus d'analyse quantitative. L'étude a abouti aux résultats suivants:

- Les questions éducatives liées au système éthique ont pris la première place dans les deux livres, où la plupart des idées éducatives se concentraient sur l'idée religieuse.

- Cependant les questions éducatives liées au système social sont venues en deuxième place, et celles liées au système culturel à la troisième place dans le livre "Naissance d'une société". Le réseau des relations sociales était (après l'idée religieuse) l'axe de la plupart des idées éducatives dans ce livre.

- Dans le livre "Les Conditions de la Renaissance", les questions éducatives liées au système culturel se sont classées en deuxième place, celles liées au système social, en troisième place. La plupart des idées pédagogiques du livre étaient centrées sur les éléments de la Renaissance et la manière de leur orientation. Cela est dû à la pensée de Malik bin Nabi qui se concentrait sur l'analyse des problèmes liés à l'être humain.

قائمة المحتويات

الصفحة

آية	أ
شكر وعرفان	ب
ملخص الدراسة باللغة العربية	ت
ملخص الدراسة باللغة الأجنبية	ث
قائمة المحتويات	ج
قائمة الجداول	ذ
فهرس الأشكال	ر
المقدمة	س

الفصل الأول: تقديم موضوع الدراسة

أولاً: إشكالية الدراسة.....	2
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع.....	4
ثالثاً: أهمية الدراسة	6
رابعاً: أهداف الدراسة	6
خامساً: تحديد مفاهيم الدراسة.....	7
سادساً: الدراسات السابقة	11

الفصل الثاني: مالك بن نبي السيرة الشخصية والمفاهيم التربوية

* تهميد	26
أولاً: التنشئة الاجتماعية لمالك بن نبي	27
ثانياً: تحديد بعض المفاهيم التربوية عند مالك بن نبي.....	35
1- مفهوم التربية.....	35
2- التخطيط التربوي.....	37

40.....	ثالثاً: مفاهيم ذات صلة بالتربية.
40.....	1- الثقافة.
43.....	2- التغيير الاجتماعي.
44.....	2-1- مفهوم التاريخ عند مالك بن نبي.
45.....	2-2- مفهوم فكرة الحركة.
46.....	2-3- الاتجاهات المفسرة للتغيير الاجتماعي (حركة التاريخ).
50.....	2-4- العوامل المؤثرة في حركة التغيير الاجتماعي.
55.....	3- فكرة التوجيه.
56.....	4- النهضة.
58	* خلاصة الفصل.

الفصل الثالث: المقاربة السوسيوتربوية في فكر مالك بن نبي

60	* تمهيد
61	أولاً: القضايا التربوية المتعلقة النظام الاجتماعي.
61	1- تحديد مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي.
61.....	1-1- تعريف المجتمع.
62	1-2- أنواع المجتمع.
65	2- التربية الاجتماعية.
65	2-1- التعريف.
66.....	2-2- أسس التربية الاجتماعية.
67.....	2-3- الشروط الأولية للتربية الاجتماعية.
69.....	2-4- أهداف التربية الاجتماعية.
72.....	3- شبكة العلاقات الاجتماعية.
72.....	3-1- مراحل نمو شبكة العلاقات الاجتماعية.
74.....	3-2- الثروة الاجتماعية.
75.....	3-3- هشاشة العلاقات الاجتماعية.

77.....	ثانيا: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي.
77.....	1- تعريف القيمة الخلقية عند مالك بن نبي.
78.....	2- الوظيفة الحضارية للدين.
80.....	3- الوظيفة النفسية للدين.
81.....	4- الوظيفة الاجتماعية للدين.
84.....	ثالثا: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي.
84.....	1- عناصر النهضة.
84.....	1-1- الإنسان.
91.....	1-2- التراب.
92.....	1-3- الوقت.
94.....	2- البرنامج التربوي للثقافة.
94.....	2-1- توجيه الأخلاق.
96.....	2-2- التوجيه الجمالي.
97.....	2-3- المنطق العملي.
98.....	2-4- الصناعة.
99.....	3- توجيه العمل.
100.....	4- توجيه رأس المال.
102.....	رابعا: المشكلات السوسيو تربوية .
102.....	1- حرفية الثقافة.
103.....	2- مشكلة المرأة.
106.....	3- مشكلة الزري.
107.....	4- مشكلة الفنون الجميلة.
107.....	5- الاستعمار والمعامل الاستعماري.
108.....	5-1- المعامل الاستعماري.
109.....	5-2- القابلية للاستعمار.
110.....	6- قوارض شبكة العلاقات الاجتماعية.

113	* خلاصة الفصل
-----	---------------------

الفصل الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة

115	* تمهيد
115	أولاً: منهج الدراسة
117	ثانياً: عينة الدراسة
130	ثالثاً: أداة تحليل المضمون
133	رابعاً: الخصائص السيكمترية لأداة التحليل
134	خامساً: الأساليب الإحصائية المعتمدة
135	* خلاصة الفصل

الفصل الخامس: عرض وتحليل نتائج الدراسة

137	* تمهيد
137	أولاً: عرض نتائج الدراسة
137	1- عرض نتائج التساؤل الأول
139	2- عرض نتائج التساؤل الثاني
141	3- عرض نتائج التساؤل الثالث
142	4- عرض نتائج التساؤل العام
144	ثانياً: تحليل نتائج الدراسة
144	1- تحليل نتائج التساؤل الأول
146	2- تحليل نتائج التساؤل الثاني
149	3- تحليل نتائج التساؤل الثالث
151	4- تحليل نتائج التساؤل العام
155	ثالثاً: النتائج العامة
157	* المراجع
162	* الملاحق

فهرس الجـداول

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
118	يوضح مجتمع الدراسة.	01
138	يوضح نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	02
140	يوضح نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	03
142	يوضح نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	04
143	يوضح مجموع القضايا التربوية المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	05

فهرس الأشكال

رقم الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
139	يوضح نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	01
142	يوضح نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	02
143	يوضح نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	03
144	يوضح مجموع القضايا التربوية المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.	04

الفصل الحادي عشر

المقدمة

إن من القضايا الأساسية والمثيرة للجدل في المجتمعات الإنسانية والتي أصبحت تستقطب إهتمام الكثير من المحللين والمفكرين، وتشغل حيزا فكريا كبيرا هي قضايا التربية، تلك القضايا التي يثير دراستها عددا من الإشكالات والتساؤلات المرتبطة بالأنظمة الاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية.

ونظرا لأهمية التربية ومشاكلها وقضاياها في حياة المجتمعات الإنسانية، فقد حظيت بإهتمام كبير على كافة المستويات، سواء المحلية أو العربية أو العالمية؛ فالقضايا التربوية كثيرة التي نواجهها وأحيانا نسمع أو نتحدث عنها تطرح وتكرر كثيرا، ونحن نعد الظواهر ولكن نادرا ما نهتم بأسباب منشئها، ونستمع للكثير من الحلول وطرق العلاج وعند التطبيق سرعان ما نشعر بصعوبة إسقاط الحلول المقترحة على واقعنا ولربما يرجع ذلك لعدم وجود براديجم تربوي عربي، لأن التربية بصفة عامة، تتغير بتغير البراديجمات والنماذج الاجتماعية العلمية ممارسة ووظيفة، مما جعلنا نلجأ للتحليل الفكر التربوي لمن سبقوا من العلماء والمفكرين.

وإن دراسة الفكر التربوي يعتبر من أهم الأسس التي لها دور كبير في تنمية وتعدد مجالات وأساليب التربية، فتحليل الآراء التربوية لمن سبق من المفكرين لاشك أنه يبسط أمام الإنسان أفكار جديدة يستطيع أن يديرها الجادون من رجال التربية في مجالاتها المختلفة لتعود بالنفع والفائدة على التربية وطلابها. فلقد كان وما زال للمفكرين المسلمين أعمال فكرية عديدة. ومن بين أولئك الباحثين الذين درسوا التربية وما يتعلق بها في المجتمعات الإنسانية المفكر العربي الجزائري مالك بن نبي.

يمثل مالك بن نبي موسوعة فكرية مميزة لها مفاهيمها ومميزاتها، والتي عالجت الكثير من القضايا المجتمعية، جعلت الباحثين في ميادين علم الاجتماع والتاريخ وكذا التربية... الخ، يؤولونها عناية خاصة واهتماما كبيرا، حتى غدت أفكار ابن نبي محل شرح ونقد وتحليل وذلك لما تحمله من مضامين حضارية نستطيع من خلالها بناء براديجم عربي.

لذا جاءت هذه الدراسة للكشف عن أهم المواضيع والمشكلات التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي، والنظام الأخلاقي، والنظام الثقافي في الفكر التربوي لمالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة وفقا لمقاربة سوسيو تربوية. ولقد قسمت الدراسة لخمس فصول، نلخصها في ما يلي:

الفصل الأول: وتضمن تقديم موضوع الدراسة، حيث تم فيه تحديد إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، وأسباب إختيار موضوع الدراسة، بعدها تم عرض أهمية الدراسة والتي اشتقت منها الأهداف التي تسعى لتحقيقها، كما قمنا بتعريف المتغيرات المستخدمة في هذه الدراسة إجرائيا حتى يسهل فهمها من طرف القارئ، كما تم التطرق إلى بعض الدراسات السابقة مع إبراز الجوانب التي ساعدتنا في دراستنا الحالية.

الفصل الثاني: فقد تمّ التطرّق فيه للتنشئة الاجتماعية لمالك بن نبي بهدف التعرف على مصادر البناء الفكري لمالك بن نبي، وقمنا بتحديد أهم المفاهيم التربوية التي أشار إليها؛ والمتمثلة عناصرها في: (مفهوم التربية، التخطيط التربوي)، وكذا أدرجنا فيه بعض المفاهيم ذات الصلة بالتربية (الثقافة، التغيير الاجتماعي وفكرة التوجيه، النهضة).

الفصل الثالث: توضيح القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي والتي جاءت ضمن عناصر: تحديد مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي (تعريف المجتمع، أنواع المجتمع) والتربية الاجتماعية (التعريف، أسس التربية الاجتماعية، الشروط الأولية للتربية الاجتماعية، أهداف التربية الاجتماعية)، إضافة لشبكة العلاقات الاجتماعية (مراحل نمو شبكة العلاقات الاجتماعية، الثروة الاجتماعية، هشاشة العلاقات الاجتماعية). وتم عرض القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي والمتمثلة في (الوظيفة الحضارية للدين والوظيفية النفسية للدين، الوظيفة الاجتماعية للدين)، بعدها تم تحديد القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي واحتوت على (عناصر النهضة، البرنامج التربوي للثقافة، توجيه العمل، توجيه رأس المال). وفي الأخير تم التركيز المشكلات السوسيو تربوية (حرفية الثقافة، مشكلة المرأة، مشكلة الزي، مشكلة الفنون الجميلة، الاستعمار والمعامل الاستعماري، قوارض شبكة العلاقات الاجتماعية).

الفصل الرابع: وتضمّن الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية بدءاً بتحديد المنهج المستخدم في الدراسة ثم وصف عينة الدراسة، بالإضافة إلى تحديد وبناء أداة تحليل المضمون، وكذا الأساليب المعتمدة في المعالجة الإحصائية للبيانات المتحصّل عليها قصد التوصل إلى نتائج للتأكد من تحقق أهداف الدراسة.

الفصل الخامس: تم فيه عرض النتائج المتوصل إليها وتحليلها والتأكد من مدى تحقيقها لأهداف الدراسة القائمة، وتوصلنا في الأخير إلى نتائج عامة.

الفصل الأول

تقديم موضوع الدراسة

أولاً: إشكالية الدراسة

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

ثالثاً: أهمية الدراسة

رابعاً: أهداف الدراسة

خامساً: تحديد مفاهيم الدراسة

سادساً: الدراسات السابقة

أولاً: إشكالية الدراسة

إن للحضارة الإسلامية عوامل وأسس ومقومات ومنهج، جعلتها تتال من خلالها مرتبة مميزة بين الحضارات الأخرى. كما تركت آثاراً خالدة في مختلف النواحي والمجالات: الفكرية، والخلقية، والمادية، وحققت دوراً عظيماً في تاريخ تقدم الإنسانية الشيء الذي جعلها محط أنظار الكثير من الباحثين، سواء أكانوا من مفكريها أم من مفكري الغرب، حيث تم تناولها بالدراسة والبحث من قبل مفكرين ومؤرخين وباحثين من اتجاهات فكرية متعددة، فأنت هذه الدراسات بآراء متنوعة ومختلفة، وصل بعضها إلى حد التناقض.

وبنهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين صارت المجتمعات الإسلامية تعاني من مشكلات عديدة جعلتها تتقهقر، فقد أصابها الركود والخمول. وقد رد الكثير من الباحثين تلك المشكلات للفترة الطويلة التي عاشتها هذه المجتمعات بعد أن تعرضت لموجة التكالب الاستعماري أنتجت عندها تخلفاً حضارياً، مما جعلها تواجه صراعاً فكرياً وعقائدياً وثقافياً وحتى اجتماعياً، وهكذا وجدت المجتمعات الإسلامية نفسها في هذه الوضعية الاجتماعية المزرية؛ كحتمية وانعكاس لظروف واعتبارات داخلية وخارجية فرضت عليها.

فقد إختار بعض أفراد هذه المجتمعات لأنفسهم فلسفات تربوية مختلفة فهناك من إنبهر بالمنهج التربوي الغربي وأراد إسقاطه عشوائياً على بيئتنا بما فيه من قيم وفكر متناسين ثقافة الأمة النابعة من مضامين دينية مختلفة، فمن المعلوم أن الثقافة في الفكر التربوي الإسلامي تتخذ من العقيدة مصدراً لها وموجهاً لمضامينها، لذلك فالثقافة الإسلامية تستند إلى أصول ثابتة لكنها متجددة في وسائلها وأساليبها، ومن نافلة القول أن نؤكد على أن الثقافة أسلوب حياة ونمط للعيش وطريقة للتفكير ووعاء للعلم. لذلك فلا بد من تعزيز البناء العقدي في النفوس لحماية النموذج الاجتماعي والثقافي¹.

¹ مصطفى يوسف منصور، تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها، بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، الفترة: (2-3-4 2007)، ص 620.

بينما سلم البعض الآخر عقولهم لأطراف نفعية وبراغمية تعمل على تربيتها وفقا لمصالحها، وهي بذلك تستهدف عزل التربية عن البناء الاجتماعي العام وتثقيتها عن المشاركة في حل القضايا الفرد والمجتمع. بينما هي في حقيقة الأمر نسق فعال في النظام المجتمعي الكبير.

لقد حاول العديد من الباحثين والمختصين تحديد ومناقشة العقبات التي تواجه المجتمعات الإسلامية وفي شتى المجالات بما فيها التربية، مدفوعين بالبحث عن أسباب التي أدت إلى تحول التربية من نسق فكري ثقافي اجتماعي قائم على رؤية حضارية مبنية على توجهات المجتمع وقيمه العليا إلى مجرد إجراءات وقرارات فوقية لا تمت للواقع بصلة. فهناك من تطرق في دراسته للتربية للجانب الثقافي والآخر للجانب الأخلاقي، بينما ردها البعض الآخر إلى الجوانب الاجتماعية. إلا أنهم جمعتهم فكرة واحدة أن المجتمع الإسلامي يعاني أساسا من أزمة تربوية تختلف حدتها من بلد إلى آخر.

ومن بين أولئك الباحثين الذين درسوا الحضارة الإسلامية، المفكر العربي الجزائري "مالك بن نبي"، فهو يعد من أكبر المفكرين العرب كما وصفه العديد من الكتاب المعاصرين، حيث أن المطلع على فكره يجد صعوبة في تصنيفه، هل هو مؤرخ أم عالم نفس، أم هو فيلسوف له طابع العالم الاجتماعي وهذا كانت ميزة علماء ومفكري عصره.

قام مالك بن نبي بتحليل الحضارة الإسلامية والأوربية معا، من حيث نشوؤها وتطورها، وبحث في أسباب إنهيارها وإنحلالها، وناقش الأسس التي تركز عليها والعقبات التي تعيق تقدمها والمشكلات والتحديات التي تواجهها، وقدم حولا لإنقاذها من الأفول. وقد أولى أيضا اهتماما خاصا وعميقا للإنسان المسلم، متابعا في ذلك علله ونقائصه ومحللا أبعاد الظواهر والمشكلات التي تحيط به.

لذا جاءت مؤلفات مالك بن نبي عديدة ومتنوعة في الثقافة والسياسة والتربية والاقتصاد وحتى الأدب، ولم يخصص مفكرنا كتابات خاصة للتربية إنما جاءت بشكل ضمني. ومن بين هذه المؤلفات التي كان لها مضمون تربوي واجتماعي: كتابه ميلاد

مجتمع وشروط النهضة، والذي قدما من خلالهما قضايا تدور في عمومها حول التربية والتوجيه، والمجتمع وكذا الأخلاق والثقافة، مما كون عند الكثيرين -الذين يهتمهم أمر التربية والمجتمع- دافع القوي لإطلاع على إبداعات هذا المفكر وإسهاماته التحليلية.

ومما سبق يمكننا طرح التساؤل الرئيس كآآتي:

*** التساؤل العام:** ما هي أهم القضايا التربوية في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟

*** تساؤلات فرعية:**

تفرعت عنه تساؤلات فرعية:

- ما هي أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟
- ما هي أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟
- ما هي أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيار أي موضوع لا يأتي إعتباطا أو إرتجالا، إنما يكون مبنيًا على وإحساس عميقين بالمشكلة، رغبة من الباحث في توضيحها وتفسيرها أو إضافة الجديد إليها وإتمام ما يراه ناقصا، وقد تنوعت أسباب الدراسة الحالية بين ما هو ذاتي وموضوعي، نورد هنا كآآتي:

*** الأسباب الذاتية:**

- من المواضيع التي جلبت انتباه الباحثة خلال المناقشات التي تطرح بين الطلبة والأساتذة بحماس أفكار المفكر مالك بن نبي. وكانت الباحثة في كل مرة تشعر

بالإستغراب وتتساءل بداخلها لماذا كل هذا الاهتمام؟. حتى كان اليوم الذي قرأت فيه الباحثة إعلان لمسابقة ثقافية والمتمثلة في قراءة في كتاب "شروط النهضة" لمالك بن نبي. فإتخذت القرار أن تقرأ هذا الكتاب وتحاول التعرف على أفكار بن نبي عن قرب. وحينها فقط أدركت ما فاتها من جوانب معرفية عميقة وذات فائدة. فقررت الإقترب أكثر من أفكاره من خلال هذه الدراسة، وذلك لتقصي آثار هذا المفكر ومحاولة الاستفادة منها. ممنية النفس أن يكون بحثها هذا في **طليعة** البحوث الأكاديمية الجادة والمفيدة.

- عبارة للعقاد جذبت الباحثة "لا أريد أن تكون كتبي مروحة للكسالى". فأردت أن تكون من المجتهدين. ولعل مطامحها هذه هي التي تعلل أسلوب الكتابة في هذه الدراسة، فكل نشاط عقلي موجود في هذا العمل سيكون ذا طبيعة داخلية ذاتية.

* الأسباب الموضوعية:

أما الأسباب الموضوعية لإختيار الموضوع فهي كالاتي:

- محاولة التدرب على ممارسة الفكر الناقد لأجل فهم القضايا الكبرى التي تفتت في المجتمع.
- أن تكون هذه الدراسة منطلقا لدراسات أخرى في الفكر العربي الإسلامي.
- تحليل أفكار مالك بن نبي، ومحاولة تقديمها لأكبر شريحة من الطلبة، وحتى لا تبقى حكرًا على مجموعة معينة.
- إن المواضيع والقضايا التي تناولها مالك بن نبي بالدراسة جديرة بالبحث، فقد شغلت حيزًا فكريًا كبيرًا على المستويين الفردي والاجتماعي فهي تمس باستقرار وتوازن المجتمع الإسلامي والعربي.

ثالثا: أهمية الدراسة:

جاءت أهمية الدراسة من الإعتبارات الآتية:

- تكمن أهمية الدراسة الحالية في أهمية الموضوع الذي تناولته وهو "القضايا التربوية في فكر مالك بن نبي". فمالك بن نبي - كمفكر موسوعي - له إسهامات في عدة ميادين منها: الثقافة، التربية، علم الاجتماع، الاقتصاد، السياسة، والتعليم وكلها جديرة بالدراسة.
- لفت الإنتباه لمجال القراءات التربوية وكذا توضيح أهمية البحوث الكيفية في إبراز شخصية الباحث، والكشف عن قدراته في عملية التحليل.
- إلقاء الضوء على بعض المشكلات التربوية، للمساهمة في معالجة القضايا الاجتماعية من خلال التربية.
- الكشف عن المفاهيم الأساسية تبعا لمسيرة حركتها التاريخية، والتي تقودنا للمدخل الحقيقي للتربية في المجتمعات الإنسانية.
- التعرف على كيفية نشوء مجتمع متماسك وتوضيح أهم العناصر المحيطة بالإنسان، وكيفية التحكم بها وتوجيهها إلى الأصلح.

رابعا: أهداف الدراسة:

وتتمثل أهداف الدراسة في النقاط التالية:

- الكشف عن أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة.
- التعرف على أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة.
- إبراز أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة.
- بناء أداة تحليل القضايا التربوية في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

خامسا: تحديد مفاهيم الدراسة:

إن البحث عن التعاريف المرتبطة بمفاهيم الدراسة عملية سهلة لا تتطلب مجهود كبير من الباحث، إنما الأمر الصعب هو فهم تلك التعاريف في سياق الدراسة الحالية خاصة في علم الاجتماع فهي محكومة بقوة الواقع وتغيراته.

فعملية تحديد المفاهيم والمصطلحات المعتمد عليها في الدراسة هي عبارة عن مرور إستمولوجي؛ بحيث نقوم بنقل موضوع الدراسة من المستوى الفلسفي إلى المستوى العلمي. فتحديد المفاهيم في أي عمل علمي يعتبر نوع من تحديد الهوية لها. فنحن بهذا نقوم بتحرير المفهوم من الدلالات أخرى التي لا علاقة لها بالبحث، وذلك في سبيل الوصول إلى الأهداف التي حددتها الباحثة. فعلى هذا الأساس تم تحديد مفاهيم الدراسة الحالية كالتالي:

*القضية:

تعريف ببلي: " القضية ببساطة عبارة تدور حول مفهوم أو متغير أو أكثر"، ثم يقرر أنه " إذا كانت المفاهيم بمثابة قوالب الطوب التي تبنى منها القضايا فإن القضايا هي قوالب الطوب لبناء النظريات"¹.

"وهي حدث معين يحدث في مجتمع ما نتيجة تغيرات طارئة عليه بفعل عوامل خارجية أو عوامل دخيلة، وليس هناك في كثير من الأحيان من حل منطقي لمثل هذه القضية. ويكمن السبب الرئيس في ذلك إلى انقسام الجمهور إلى قسمين: قسم يتفق مع هذه القضية، ويعتبرها تطوراً أو تغيراً لا بد أن يحدث للمجتمع، وقد يتفق هذا القسم من الناس معها طمعاً في الحصول على مكتسبات لأنفسهم، أما القسم الثاني وهم المعارضون الذين

¹ ناني محسن احمد، مقدمة عن القضايا والمشكلات المرتبطة بتأهيل المعاقين، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، ببور سعيد الدراسات العليا-الصف الثاني-، مجال تأهيل المعاقين، بدون سنة، ص 04.

يرون أن هذه القضية طرأت على المجتمع بفعل عوامل دخيلة وجديدة، ويرفضون حتى مجرد تجربتها لأي سبب من الأسباب"¹.

وتعرف الباحثة القضية في دراستنا الحالية على أنها مجموعة المواضيع والمشكلات الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي لها علاقة بالتربية بشكلها العام. ولها شواهد تاريخية ومؤشرات تنذر بوقوعها بشكل تدريجي، والتي طرحها المفكر مالك بن نبي في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

* التربية:

*** لغة:** جاء في لسان العرب أن التربية: بمعنى النشأة وأصل الفعل في كلمة "التربية" ربي، يربي، بمعنى نشأ ينشأ نشأة ؛ ولهذا يقال: نشأ فلان في كنف فلان، بمعنى تربى في حجره وتحت رعايته، كما يقال أيضا: نشأ فلان فلانا، بمعنى اعتنى به وقام بشؤونه. ويتعدى معنى كلمة "تربية" ليشمل ويتضمن معنى أوسع كراعية المولود والإهتمام به في جوانبه الثلاثة: الجسمية والعقلية والروحية، حتى يدرج على شيء من القوامة والإستقامة².

***إصطلاحا:** فالتربية" تتضمن جميع العمليات التي تتم بواسطتها تنمية قدرات الفرد وإتجاهاته وأشكال سلوكه، والقيم الإيجابية التي يؤكد عليها المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد"³.

وترى الباحثة أن التربية المستهدفة هنا تخرج عن تلك الأطر المعهودة والمرتبطة بالطفل وبالمؤسسة التعليمية وما يتبعها من مناهج وأساليب تدريس ووسائل، وغير ذلك من الأمور. فالتربية التي نقصد ليست عملية ظرفية تتعلق فقط بمرحلة تاريخية معينة وإنما هي ديناميكية تتطور بتطور المجتمع، وهي بهذا تتجاوز حدود المؤسسة التعليمية

¹ <http://www.alukah.net/web/khedr/0/51058> / أحمد إبراهيم خضر، أهم الفروق بين المشكلة والقضية، شبكة الألوكة

تاريخ الإضافة: 2013/3/2 ميلادي - 1434/4/19 هجري، تم الاطلاع بتاريخ: 2017/02/05، الساعة: 10:00.

² مفيدة محمد إبراهيم، أزمة التربية في الوطن العربي، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص11.

³ السيد على شتا، علم الاجتماع التربوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 1977، ص14.

لتمس مختلف مجالات الحياة. فهي مشروع متكامل لتحضير الإنسان وتأهيله للمساهمة في بناء المجتمع التاريخي المتحضر.

***القضية الاجتماعية:** ترادف عدة مصطلحات مثل: المشاكل الاجتماعية الصراع الاجتماعي والمعاناة الاجتماعية. وتشير أيضا هذه القضية بأنها تؤثر على شريحة كبيرة من الأفراد داخل المجتمع، فغالبا تكون نتيجة توسع هذه العوامل غير أن القضية الفردية الاجتماعية سبب في صراع الآراء والتي ينظر لها بأنها قضية أخلاقية ليست مجرد الحياة الشخصية والعادات الاجتماعية. وإختلاف الأفراد والمجتمعات يلعب دورا كبيرا في إختلاف المدارك أو التصورات¹.

وتعرف الباحثة القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في الدراسة الحالية على أنها مجموعة من المواضيع والمشكلات الاجتماعية التي يصعب إحتواؤها أو إجتيازها وتقف كحاجز دون الوصول إلى الهدف أو الغاية المبتغاة من التربية، والتي طرحها مالك بن نبي في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة، والتي تحمل صبغة اجتماعية ومن خلالها يتم تحديد البعد الاجتماعي للتربية. وذلك وفقا لنظرة مالك بن نبي إلى الإنسان الذي سيقع عليه فعل التربية، ونظرته للمجتمع الذي سيربى فيه، وكذا نظرته للأخلاق التي هي الغاية والهدف من التربية، وما تحويه الثقافة من برامج تربوية.

*** تعريف الأخلاق:**

• **الأخلاق لغة:** وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة².

• **الأخلاق اصطلاحا:** وهي تعبر "عن مجموعة القيم التي ينشئها مجموعة من الأفراد الذين تربطهم علاقات وطيدة في جماعة لتحكم سلوكهم وأدائهم لأعمالهم"³.

¹ القضية الاجتماعية <https://ar.wikipedia.org/wiki> بتاريخ: 2017/01/23. الساعة: 09:20.

² محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري ، لسان العرب، باب: القاف، فصل الخاء، بيروت، 1414 هـ ، ص ص 10-86.

³ مصطفى محمود أبو بكر، الموارد البشرية مدخل لتعزيز القدرة التنافسية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003-2004، ص 88.

وتعرف الباحثة القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي في الدراسة الحالية على أنها مجموعة المواضيع والمشكلات التربوية ذات الصبغة الأخلاقية، والتي أصابت المجتمعات الإسلامية عندما تخلت عن الفكرة الدينية (مبادئها ومناهجها الذاتية) في تكوين علاقاتها الاجتماعية وتأسيس مجتمعاتها، والتي حددها مالك في كتابيه شروط النهضة وميلاد مجتمع.

***الثقافة: الثقافة لغة:** وعند ابن منظور: "تقف: تقف الشيء ثقفاً، وثقافاً، وثقوفةً: حذقه، ورجل ثقف، وثقف، وثقف: حاذقهم، وأتبعوه فقالوا: ثقف لقف...ابن دريد: ثقفت الشيء: حذقته، وثقفته إذا ظفرت به. وثقف الرجل ثقافة أي: صار حاذقاً خفيفاً مثل ضخم، فهو ضخم، ومنه المثاقفة. وثقف أي: صار ثقفاً مثل تعب تعباً أي: صار حاذقاً فطناً. وهو غلام لقن ثقف أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه"¹.

***الثقافة اصطلاحاً:** ندين لإدوارد تايلور (1832-1917)، الأنثروبولوجي البريطاني بأول تعريف للثقافة: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع"².

وتعرف الباحثة القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في الدراسة الحالية بأنها الموضوعات أو المشكلات التربوية التي تثيرها بعض جوانب الثقافة أو عناصرها والتي تؤثر في حد ذاتها على البرنامج التربوي الذي يتلقاه الفرد والجماعة من واقعه. والتي أشار إليه مالك بن نبي في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

ما يجدر الإشارة إليه في تحديد المفاهيم أن الباحثة اعتمدت على التحديد الداخلي أي في التخصص بما يخدم أهداف الدراسة الحالية. وتجنبت التحديد الخارجي الذي يتطلب

1 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج9، ص19.

2 دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 2002، ص 22.

تتبع المفاهيم بما تمثله من دلالات في التخصصات المتقاربة وحقول معرفية أخرى، وقد تتجاوز عملية التتبع الحدود المعقولة مما يدعو إلى الإطناب غير الهادف.

سادسا: الدراسات السابقة:

إن نمو المعرفة وتشعبها يفرض على الباحث عندما يريد القيام بأية دراسة أو بحث، الاقتناع بأن عمله عبارة عن حلقة متصلة بمحاولات أخرى كثيرة. لذا لابد من الاستناد للدراسات السابقة باعتبارها وسيلة مساعدة؛ فهي تساعد على الإقتراب المتبصر من الواقع سوى على المستوى النظري والمنهجي.

فلقد حاولت الباحثة الدخول في حوار نقدي مع هذه الدراسات لتحديد مكامن الاستفادة بدقة. ولقد وقع الاختيار على ثامن دراسات تمتلك مواصفات الدراسات السابقة على ضوء التوجهات البحثية للدراسة، تم عرضها مرتبة حسب تاريخ النشر بدءاً بالأقدم إلى الأحدث:

✍ الدراسة الأولى:

دراسة حسن موسى محمد العقبي (2005) بعنوان "مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة"¹ رسالة ماجستير.

✍ منهج الدراسة: استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي.

✍ هدف الدراسة: التعرف على مواقف مالك بن نبي من القضايا الفكرية المعاصرة: الحضارة الغربية المعاصرة والاستعمار والاستشراق-الرأسمالية-الديمقراطية-الماركسية الشيوعية-الفكر الإسلامي الحديث.

1 حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1426هـ - 2005 م.

◀ أبرز نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة لعدة نتائج:

- إن مفهومه للحضارة لم يكن واضحاً في دراسته، حيث أدخل فيه مفاهيم رياضية ورسومات بيانية، تظهر فيه حتمية النهج الحضاري الذي رسمه وفي دراسته لا يفرق بين الحضارة والمدنية.
- لقد كان مالك بن نبي مقلداً لابن خلدون في مفهوم سقوط الحضارات، ولكن ذكر مالك بن نبي أسباب جديدة للدمار.
- استطاع "بن نبي" أن يطلع على علوم عصره من داخل المجتمع الغربي وأن ينهل من ثقافة مجتمعاته، محاولاً فتح المجال للرجوع إلى منبع الحضارة الإسلامية لإيجاد الرابط بينهما.
- إن ابن نبي يحلل الحضارة من خلال مفكرين غربيين أمثال كسر لنج وفرويد ونيتشة، وذلك نتيجة تأثره بالفكر الغربي بينما كل من سيد قطب وأبي الأعلى المودودي وسعيد حوى يحللون مفهوم الحضارة من خلال الإسلام.
- يظهر الباحث قدرته الفائقة على التحليل، وخاصة في دراسته للإستعمار.
- أبدع في الرد العقلي على المستشرقين، مما جعل العديد منهم يسلم.
- قدّم نقداً قوياً للفكر الاقتصادي الرأسمالي.
- وقع في تناقض كبير في مناقشته للديمقراطية.
- ناقش الفكر الماركسي الشيوعي بموضوعية وعقلانية كبيرة، حيث أثبت فساد هذا الفكر، في الوقت الذي إنبهر به كثير من المفكرين.
- أبرز مالك بن نبي قيمة الاجتماعية للوقت والتراب فضلاً عن الإنسان فتحول هذه الموجودات إلى صالح الإنسان، وتأخذ أبعاداً اجتماعية في إطار مشروع التغيير الذي يتحكم إلى غايات سامية.

- كان يعتمد في كثير من تحليلاته على العقل مستخدماً مفاهيم علم النفس والفلسفة، وقد يسرف في بعض الأحيان بالإعتماد على مفكرين مرفوضين من وجهة النظر الإسلامية مثل فرويد وغيره.

✍️ الدراسة الثانية:

دراسة سعدي الهادي، (2007-2008) بعنوان "الفكر الديني الحديث _مالك بن نبي"¹ رسالة ماجستير.

◀ هدف الدراسة: تمحور حول نقطتين:

- إلقاء الضوء على التفكير الديني وكيف يتكون، وإبراز دور الأسباب الداخلية وأسباب خارجية (سياسية، اجتماعية). في تكوين التفكير الديني من وجهة نظر مالك بن نبي.
- الكشف على كيفية نشأة الفكر الديني واستنباط الوعي الفردي بالدين ومحاولة استيعاب البناء المعرفي الذي يستند عليه ذلك الفكر بذكر جدليته التاريخية والواقعية (مالك بن نبي نموذجاً).

◀ منهج الدراسة: تحليلي نقدي في بعض كتب مالك بن نبي واستعمل في ذلك تحليل المحتوى بالأسلوب الكيفي في الكتب التالية:

- ميلاد مجتمع - دور المسلم ورسالاته في الثلث الأخير من القرن العشرين - شروط النهضة - كمنويلث إسلامي - الظاهرة القرآنية - وجهة العالم الإسلامي.

◀ أبرز النتائج: خلصت الدراسة لعدة نتائج، نذكر أهمها:

- قراءة ثانية للفكر الديني.
- التأصيل الإبستمولوجي للفكر الديني.

¹ سعدي الهادي، "الفكر الديني الحديث _مالك بن نبي"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، (2007-2008).

- النظام الاجتماعي هو إطار للفهم والتفسير.
- موضوعية الفكر الديني وذاتيته.

✍ الدراسة الثالثة:

دراسة مغاشو عبد القادر - بوعرفة أحمد، (2012-2013) بعنوان "الفكر التربوي عند مالك بن نبي"¹ رسالة ماجستير.

➤ **هدف الدراسة:** هدفت الدراسة إلى تحديد مفهوم التربية عند مالك بن نبي والكشف عن أسس النظرية التربوية لرسم النموذج التربوي المنشود في الفكر التربوي عند مالك بن نبي، وإبراز موقع الفكر البنيوي في خارطة الفكر التربوي الحديث.

➤ **منهج الدراسة:** المنهج الاستقرائي الإستنتاجي.

➤ **أبرز النتائج:**

خلصت الدراسة لمجموعة نتائج، نذكر أهمها:

- مشكلة التربية هي المشكلة الحقيقية والجامعة لكل أزمات الأمة وهي بالتالي مشكلة حضارية.
- التربية عند مالك تحرص على إيجاد نموذج خاص من الإنسان الذي يحقق الغاية التي خلق لأجلها.
- الإنسان لا يكون أساسا في العملية التربوية، إلا إذا احتل مكانة في المجتمع وقام بدوره المنوط به.
- العملية التربوية تتضمن نظرية الحضارة و التي تعني:
- الإنسان + التراب + الوقت = حضارة
- سوء تربية وإعداد الفرد المسلم وتوجيهه يعد سببا من أسباب التخلف والوهن.

¹ دراسة مغاشو عبد القادر - بوعرفة أحمد، "الفكر التربوي عند مالك بن نبي"، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والآداب العربي، تخصص حضارة عربية إسلامية، جامعة تلمسان، (2012-2013).

- الفكرة الدينية عند "مالك بن نبي" هي الغذاء الروحي في بناء الأشخاص بناءا سليما.
- قيمة الأمم تتجلى فيما تملكه من أفكار، ليس فيما تملكه من أشياء.
- الإصلاح التربوي يجب أن يكون متكاملا، وذلك بالتخطيط الجيد دون أي إستعارة إرتجالية إستعجالية.

✍ الدراسة الرابعة:

دراسة فريد بوبيش، دهيمي زينب (2013)، بعنوان "الإستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي"¹ مقال ضمن دراسات نفسية وتربوية.

◀ **هدف الدراسة:** هدفت هذه الدراسة للكشف عن الإستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، كما أبرزت معوقات التغيير الاجتماعي من وجهة نظر مالك بن نبي على مستوى الفرد والثقافة والمجتمع، ودرست عوامل التغيير (الأبعاد التربوية للتغيير).

◀ **منهج الدراسة:** جاءت الدراسة ذات طبيعة تحليلية إستنتاجية.

◀ **أبرز النتائج:**

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تميز مالك بن نبي بمستوى المعالجة القائمة على المنهج التربوي البنائي الذي يهدف إلى إعادة تشكيل البنية الثقافية.
- ان التربية التي ينشدها مالك بن نبي، والتي يراها كفيلة بتحويل هذا الواقع المعيشي من حالته السكونية المتخلفة إلى حالة حركية متطورة، تستند إلى

¹ فريد بوبيش (جامعة بسكرة)، دهيمي زينب (جامعة ورقلة)، "الإستراتيجية التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي"، مقال ضمن الدراسات النفسية والتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية العدد 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ديسمبر 2013.

إستراتيجية تربوية للتغيير الاجتماعي، والمتمثلة في عملية التجديد التي تنتهج طريقتين:

✓ معرفة معوقات التغيير، ومن ثم تصنيفها وإزالتها.

✓ معرفة عوامل التغيير، ومن ثم العمل على ترسيخه.

- تتجلى حقيقة جوهرية في فلسفة مالك بن نبي التربوية قوامها الفرد والمجتمع معا، ومؤكدا في نفس الوقت على أسبقية الجانب الاجتماعي.

✍ الدراسة الخامسة:

دراسة علي صباغ (2013)، بعنوان "معالم تربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي" ¹ مقال في مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

◀ **هدف الدراسة:** هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مكونات الفكر التربوي عند أحد أعظم رجالات الفكر في تاريخ الجزائر المعاصر. وذلك بإبراز المعالم الكبرى لفكره التربوي الذي تضمنه مشروعه الإصلاحي والحضاري. كذلك سعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

- التعريف ببعض جوانب الفكر التربوي في المشروع الإصلاحي والحضاري لمالك بن نبي.
- الإسهام في إبراز النظرة المستقبلية لصاحب مشكلات الحضارة في العملية التربوية.
- الكشف عن بعض الأبعاد التربوية في الفكر الحضاري لمالك بن نبي وإمكانية الاستفادة منها في واقعنا العملي.
- الكشف عن مدى توافق المضامين التربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي مع الإتجاهات التربوية المعاصرة.

◀ **منهج الدراسة:** جاءت طبيعة الدراسة تحليلية استنتاجية.

¹ علي صباغ ، "معالم تربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن النبي"، مقال نشر بالعدد الأول من مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية علم النفس وعلوم التربية – جامعة قسنطينة 02، الجزائر، 2013.

* أبرز النتائج: توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

- أن الفعاليات الإنسانية العاقلة والذكية بوجه عام والظاهرة التربوية على وجه التحديد، تنبثق عن مفاهيم نظرية معينة، فإذا غابت النظرية الجيدة عن القيادة التربوية سيؤدي ذلك بفعاليتها إلى التخبط والعشوائية وإعتماد أسلوب المحاولة والخطأ.
- أننا بحاجة إلى ولادة فكر تربوي حضاري حتى نسهم من جديد في إغناء الفكر الإنساني، إن نحن عملنا جميعاً له وبذلنا من أجله، بعض ما يستحق.
- إن النظام التربوي الفعال هو ذلك النظام الذي يحسن إستيعاب الأفكار وفهم الواقع حتى يستطيع تحديد الأهداف بما يتناسب مع الظروف البيئية ومع القدرات البشرية والمادية المتوفرة.

✍ الدراسة السادسة:

دراسة العابد ميهوب (2013-2014)، "الفكر التربوي عند مالك بن نبي"¹.
أطروحة دكتوراه.

◀ هدف الدراسة: تتمثل أهداف الدراسة في عدة نقاط نذكرها:

- إن الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو إبراز مكانة المفكر مالك بن نبي في الفكر الإسلامي والعربي عامة، والفكر التربوي خاصة.
- إبراز الخطوط العريضة التي تضمنتها أفكار مالك بن نبي التربوية والفكرية.
- الكشف عن أبعاد التربية عند مالك بن نبي والبحث عن مضامينها الاجتماعية والأخلاقية، والبعد التربوي لنظرية الدورة الحضارية.
- الوقوف على الظروف الشخصية التي مر بها مالك بن نبي وأثرت في فكره التربوي.

¹ العابد ميهوب، "الفكر التربوي عند مالك بن نبي"، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، (2013-2014).

◀ **منهج الدراسة:** لقد تم الإعتماد على المنهج التحليلي الإستنباطي.

◀ **أبرز النتائج:**

لقد توصلت الدراسة لعدة نتائج نذكر منها:

- إرتباط الفكر التربوي بالبيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي ساهمت في بلورة التوجه الفكري.
- مقارنة مالک مقارنة تنموية لها علاقة بالحضارة.
- الجانب الاقتصادي لا ينهض إلا من خلال وضع خطة تربوية في إطارها الثقافي.
- تحتوى الأزمة التربوية على عدة أبعاد: البعد التاريخي وفكري وديني.
- غياب الفكرة التأسيسية في الجهود الإصلاحية للمشاريع التربوية.

✍ **الدراسة السابعة:**

دراسة بلال بوترعة، (2014-2015)، بعنوان " قضايا البيئة في المنهاج التعليمي"¹، أطروحة دكتورة.

◀ **هدف الدراسة:** تتمثل أهداف الدراسة في عدة نقاط نذكرها:

- التعرف على صورة النظام البيئي في كتاب التربية المدنية للطور الابتدائي في المدرسة الجزائرية.
- التعرف على مشكلات التلوث البيئي التي يتضمنها كتاب التربية المدنية في المدرسة الجزائرية.
- التعرف على أشكال إستعمال الموارد البيئية الطبيعية التي يتضمنها كتاب التربية المدنية في المدرسة الجزائرية.

¹ بلال بوترعة، " قضايا البيئة في المنهاج التعليمي " - دراسة تحليلية لكتاب التربية المدنية في الطور الابتدائي في الجزائر -، أطروحة دكتوراه، تخصص علم اجتماع البيئة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، (2014-2015).

- التعرف على محتوى المتعلق بحماية البيئة التي يتضمنها كتاب التربية المدنية في المدرسة الجزائرية.

➤ **منهج الدراسة:** لقد تم الإعتماد على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام أسلوب تحليل المضمون. حيث اعتمد على صنافه احتوت 38 قضية بيئية.

➤ **أبرز النتائج:** لقد توصلت الدراسة لعدة نتائج نذكر منها:

- صورة النظام البيئي في كتب التربية المدنية في المرحلة الابتدائية الجزائرية كانت صورة إيجابية، متنوعة مما يمكن التلميذ من التعرف على مختلف عناصر وأجزاء النظام البيئي الذي يعيش فيه.
- إحتوت الكتب التي تم تحليلها على العديد من الموضوعات التي لها صلة بالمشكلات التلوث البيئي، ماعد مشكلة تلوث التربة كانت الإشارة إليها ضعيفة.
- إحتوت الكتب التي تم تحليلها العديد من أشكال إستخدام الموارد البيئية الطبيعية.
- إحتوت الكتب التي تم تحليلها العديد من الموضوعات المتعلقة بحماية البيئة وبنسب مختلفة من كتاب لآخر.

✍ **الدراسة الثامنة:**

دراسة فوزي لوحيدي،(2014- 2015)، بعنوان " المضامين الاجتماعية للمناهج الرسمي للتربية الاسلامية لمرحلة التعليم المتوسط"¹، أطروحة دكتوراة.

➤ **هدف الدراسة:** تتمثل أهداف الدراسة في عدة نقاط نذكرها:

- توضيح كيفية عرض المشرع التربوي للمضامين الإجتماعية داخل المحتوى الدراسي، ومعرفة الأهمية التي تلعبها التربية الإسلامية في الحفاظ على

¹ فوزي لوحيدي، المضامين الاجتماعية للمناهج الرسمي للتربية الاسلامية لمرحلة التعليم المتوسط ، أطروحة دكتوراه ، تخصص علم اجتماع التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة،(2014-2015).

تماسك المجتمع واستقراره، ومعرفة مدى اهتمام المشرع التربوي بمادة التربية الإسلامية.

◀ **منهج الدراسة:** إستعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي معتمداً على أداة تحليل المضمون.

◀ **عينة الدراسة:** إختار الباحث عينة قصدية متمثلة في كتابي التربية الإسلامية للسنة الثالثة والرابعة متوسط المعتمدان في التدريس في الجزائر منذ العام الدراسي (2006/2005).

◀ **وحدة التحليل:** استخدم الباحث وحدة العبارة كوحدة للتحليل.

◀ **أبرز النتائج:** وتمثلت في النقاط التالية:

- قدم المؤلف لكتابي التربية الإسلامية للسنة الثالثة والرابعة متوسط المضامين الاجتماعية الموجودة في المنهاج الرسمي لهذه المادة في أساليب تعليمية.
- هناك علاقة تكاملية بين المضامين الاجتماعية الموجودة في كتابي التربية الإسلامية للسنة الثالثة والرابعة متوسط والقيم الاجتماعية التي تعبر عنها.
- أخفق المؤلف الموكل بتأليف كتابي التربية الإسلامية للسنة الثالثة والرابعة متوسط في الحفاظ على التوازن في استعمال الأساليب التربوية بين دورة وأخرى مما يظهر الإرتباك الحاصل في تأليف الكتاب المدرسي لدى الجهة الوصية.
- يلاحظ على المشرع التربوي خلال انتقائه للمضامين الموجودة في كتابي التربية الإسلامية للسنة الثالثة والرابعة متوسط أنه يبحث عن المضامين التي لها علاقة بالقيم التي تتماشى مع روح التفتح على الآخر والدخول في الثقافة العالمية وإهمال القيم التي تعزز الخصوصية الثقافية للتلاميذ.

كما إستعانت الباحثة في هذه الدراسة بمجموعة من الكتب والتي من خلال القراءة العميقة لها كونت الباحثة إطاراً فكرياً سمح لها بالبدء بهذه الدراسة، نذكر منها:

📖 مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة "في فكر مالك بن نبي التربوي"
-نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الإسلامي المعاصر-، عمر نقيب.

يحتوي الكتاب على فصل تمهيدي يقدم فيه الكاتب قصته مع فكر مالك بن نبي وتطور الدراسات حول هذا الفكر، إضافة إلى أربعة فصول.

الفصل الأول: فقد جاء تحت عنوان "مفاهيم تربوية مفتاحية لتناول الفكر التربوي عند مالك بن نبي" حيث تعرّض فيه إلى موقع التربية في فكر مالك بن نبي.

الفصل الثاني: والذي جاء تحت عنوان "أسس النظرية التربوية في الفكر التربوي عند مالك بن نبي" فقد عرض فيه الكاتب كمحور أول الإنسان وكيفية تأهيله وتمكينه من الأداء الناجح لوظيفته في التاريخ حسب أبعاد الإنسان المختلفة، ثم محور المجتمع وكيفية البناء السليم له وآليات المحافظة على هذا البناء، ثم محور العلم والمعرفة وأبعادهما ثم محور غايات التربية .

الفصل الثالث: بعنوان "ضوابط صياغة النموذج التربوي المنشود في الفكر التربوي لمالك بن نبي" تعرّض فيه الكاتب إلى ضوابط بناء النموذج التربوي المنشود لكل من الفرد والمجتمع .

الفصل الرابع: والأخير الذي عرض فيه الكاتب عمر نقيب تحليله النقدي لمنظور مالك بن نبي في تناول المشكلة التربوية في العالم الإسلامي.

وفي الأخير، قدم لنا قائمة عناوين المصادر والمراجع التي تم إعتمادها في إنجاز هذه الدراسة ثم فهرس الكتاب.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو في الأصل دراسة نال بها المؤلف شهادة الدكتوراه باللغة الانجليزية بجامعة بترا الماليزية وقد ترجمها إلى اللغة العربية لتمكين القارئ العربي من الإطلاع عليها.

📖 التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة
في تصور مالك بن نبي. محمد بغداد باي.

يحتوي الكتاب على مدخل تعريف بمالك بن نبي إضافة إلى خمسة فصول.

الفصل الأول: فقد جاء تحت عنوان "حول الظاهرة الحضارية في تصور مالك بن نبي، أسبابها ومكوناتها". حيث تعرض فيه إلى حظ الشعوب من الحضارة، وتقسيم المجتمعات البشرية، والمراحل التاريخية للمجتمعات، منطق الحضارة عند مالك بن نبي.

الفصل الثاني: والذي جاء تحت عنوان "مجتمع الحضارة وسماته". حيث تعرض فيه إلى الفرق بين مجتمع ما قبل ومجتمع ما بعد الحضارة، وسمات مجتمع ما بعد الحضارة (تشخيص الأمراض على مستوى الفرد والمجتمع، وعلى الصعيد الثقافي والاجتماعي)

الفصل الثالث: والذي جاء تحت عنوان "التغيير والتربية في منظور مالك بن نبي"، حيث تعرض فيه إلى علاقة التربية بالتغيير، أهداف القصوى والجزئية التربية وآليات التغيير.

الفصل الرابع: والذي جاء تحت عنوان "معاني التربية ومفهومها عند مالك بن نبي"، حيث تعرض فيه إلى أنواع التربيّات المجسدة للأهداف التربوية الجزئية، ومعاني ودلالات التربية عند مالك بن نبي. وأخير ضبط مفهوم التربية عند مالك بن نبي.

الفصل الخامس والأخير: والذي جاء تحت عنوان " موقع "التربية البنّوية " في خارطة الفكر التربوي الحديث"، حيث تعرض فيه إلى مفهوم التربية بين الإتجاهات الحديثة وبن نبي، خصائص "التربية البنّوية "دور التربية في عملية التغيير بين الإتجاهات الحديثة و بن نبي.

❖ التعليق على الدراسات السابقة والإستفادة منها:

ومن خلال إطلاع الباحثة على الدراسات السابقة يمكنها إبداء بعض الملاحظات:

- يعاب على هذه الدراسات التي تناولت الفكر التربوي والديني عند مالك بن نبي أنه خلت معظمها من تحديد المفاهيم وكذا أنها لم تستند إلى إطار معرفي سابق. ويمكننا أن نستثني منها دراسة العابد ميهوب.

فقد تميزت رسالة العابد ميهوب عن بقية الدراسات الأخرى، بإحتوائها على مادة معرفية مكثفة وتنوع عناصرها بتعدد فصولها، كما غلب عليها طابع الدقة خصوصا في تحليل التربية الاجتماعية. إلا أن ما يعاب عليها أنها لم تعطي تفصيل لكيفية إستعمالها المنهج الاستنباطي، إضافة إلى أنها أدرجت عدة مقارنات، وهي لم تشير إلى أنها إستعملت المنهج المقارن.

- إن معظم من حلل أفكار مالك بن نبي، ركز على تحليلها من المنظور الفلسفي من خلال المنهج الإستقرائي والاستنباطي.

- ساهمت الدراسات السابقة في تعديل وضبط تساؤلات الدراسة، ووضع أداة تحليل المضمون، ساعدت في توسيع الإطار النظري لهذه الدراسة خاصة الكتابيين، وتمت الاستفادة من نتائج بعض الدراسات لمقارنتها بنتائج هذه الدراسة.

- ساعدت هذه الدراسات الباحثة في جوانب عديدة، منها وضع التصور العام للدراسة وكذلك تحديد مشكلة الدراسة وأهدافها، فضلا عن اطلاع الباحثة على المناهج المستخدمة، خاصة التي اعتمدت على أداة تحليل المضمون. إضافة إلى الاطلاع على الجانب النظري لهذه الدراسات جعل الباحثة تتعرف على عدة مراجع مفيدة. جاءت الدراسات السابقة التي تناولت أفكار مالك بالتحليل؛ متنوعة من ناحية التخصص، مما أعطى الباحثة رصيذا معرفيا ساعدها في تحليل أفكار مالك بن نبي التربوية.

- كما استفادت الباحثة من بعض الدراسات التي ليس لها علاقة مباشرة بالدراسة كما في دراستي بلال بوترعة (2015م) وفوزي لوحيدي (2015م) واللذان استخدمتا نفس المنهج والأداة، إلا أنهما يختلفان عن دراستنا من حيث الهدف والموضوع.

- وإختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة ككل في أنها استخدمت المنهج الوصفي الذي يعتمد على أسلوب تحليل المضمون، لإبراز أهم القضايا التربوية المتضمنة في الكتابين وقياسها كمياً، لنعرف أيها كانت نسبتها في الظهور أكثر وإبراز الفكرة الأساسية التي تمحورت حولها بقية الأفكار، ومحاولة ترتيبها ضمن الأفكار التربوية في الكتابين.

الفصل الثاني

مالك بن نبي السيرة الشخصية والمفاهيم التربوية

* تمهيد

أولاً: التنشئة الاجتماعية لمالك بن نبي

ثانياً: تحديد بعض المفاهيم التربوية عند مالك بن نبي

ثالثاً: مفاهيم ذات صلة بالتربية

* خلاصة الفصل

* تمهيد:

إن التعرف على البناء الفكري لأي مفكر، يملئ علينا دراسة أفكاره ضمن السياق تاريخي لحياته، وذلك وفقاً لظروفه الاجتماعية والنفسية التي كونت سلوكه ورؤيته للواقع ومشكلاته. حيث أن الرصيد الفكري لأي مفكر ينشأ من ظروفه التي عايشها. "فالفكر يتشكل عند الإنسان، ونوعية التركيب النفسي، الذي يرسم معالم الشخصية وخصائصها الكيفية، وهذه الشخصية تتبلور معالمها وطبيعة السياق التاريخي، فلا تستطيع الفصل بين الفكر والشخصية، بل إن الشخصية هي التحليل النفسي للأفكار والمفاهيم، واتجاهاتها الاجتماعية"¹.

كما أن تحديد المفاهيم التربوية في فكر مالك بن نبي يمد البحث بالأرضية التي ترتكز عليها ويرسم في ذات الوقت الإطار الذي سيتحرك داخله. فمالك بن نبي يرى أن الخلط في المفاهيم لا يعطي المفهوم الغايات التي أوجد لأجلها. فاستعارة المفاهيم من العلوم الأخرى وإستعمالها في العلوم الإنسانية دون عملية تكييفها يزيد الأمور غموضاً. لذا لابد لنا من معرفة الإطار العام الذي تتكون فيه التربية. حيث أن كل مشروع تربوي يحتاج لتصور مسبق حول فهم العملية التربوية والغاية منها وكذا التخطيط لها وتحديد البيئة الاجتماعية التي سوف تمارس فيها، وتوضيح المفاهيم التي تدعم قيام مشروعها. فبفضل هذه العناصر يصل أي مجتمع لتحقيق الغاية والهدف الذي ينتظره من التربية.

¹ زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة- دراسة تحليلية ونقدية-، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1998، ص37.

أولاً: التنشئة الاجتماعية لمالك بن نبي:

لم تجد الباحثة أصدق من كتاب "مذكرات شاهد للقرن" لمالك بن نبي لتتبع التنشئة الاجتماعية للمفكر، والذي صدر باللغة الفرنسية عام 1966، وترجمه الدكتور (عبدالمجيد النعني) القسم الأول منه المسمى "الطفل" الذي يروي مذكراته في الفترة بين 1905 و1930. وكتب المؤلف القسم الثاني -الطالب- من الكتاب باللغة العربية مباشرة، والذي يروي مذكراته في الفترة بين 1930 و1939. صدر القسم الأول باللغة العربية سنة 1969م. وأما القسم الثاني فكان سنة 1970م.

بدأ مالك بن نبي كتابه بتقديم بقصة خيالية مفادها أنّ القدر بعث أحدهم ليضع في طريقه الكتاب. فوجده جاهزاً بجانبه، وهو يصلي بإحدى مساجد قسنطينة ليكون مرجعاً تاريخياً لأبناء الجزائر في الحقبة بين 1905 سنة مولده و1935 سنة انقطاعه عن الدراسة.

ولد مالك بن نبي "في مدينة قسنطينة في الجزائر عام (1905م)"¹، ونشأ في أسرة محافظة؛ لأن جده لأبيه هاجر إلى طرابلس الغرب احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي وحمل معه كل أملاك العائلة، "كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان حال عائلتي قد ساء مادياً، فجدي لأبي باع ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب"². كذا كانت هذه الهجرة كرد فعل رافض للتغيرات الأخلاقية والاجتماعية والعادات والتقاليد التي شاعت بين شباب قسنطينة وما جاورها من مدن، الأمر الذي ترك الأثر النفسي بين الكبار في السن. "أما والد مالك، عمر بن نابي فقد انتقل مع باقي أسرته ما عدى مالك (الذي تركه عند أحد أعمامه) إلى مدينة تبسة حيث يقطن صهره وأخوال أبنائه منذ نصف قرن"³.

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط8، 2015، ص 15.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 16.

³ مالك بن نبي، استشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث الملتقى الدولي منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، د ط، 2011، ص 62.

وبعد وفاة عمه أعادته زوجة عمه (بهيجة) لأهليه بتبسة لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتها، إلا أن إقامته بقسنطينة -مع ما وجده من حرية في العيش عند "زوجة عمه بهيجة"- تركت انطباعات نفسية خاصة عنده. فلقد ظلت تستقطب فكره ويتمنى لو تعيده الظروف إليها. فقد كانت بيئة تبسة تختلف على محيط قسنطينة في عدة أمور فتبسة المدينة الصغيرة " قد نجت بنسبة كبيرة من تسلط الواقع الاستعماري الذي سمي فيما بعد (الحضور الفرنسي)، وهذا ناتج من أن طبيعة المنطقة كانت تشكل نوعا من الدفاع الذاتي ضد الأوروبين... لم تكن النظم التقليدية لهذه المنطقة تفسح المجال كثيرا -كما هي الحال في الحواضر- للمؤثرات الأخلاقية والاجتماعية الناتجة عن الوجود الاستعماري"¹؛ فحفاظها على الطابع البدوي شكل حاجزا منع الاختلاط مع الفرنسيين.

وبعودته لتبسة إنقى مالك بجده لأمه "زليخة" التي كانت تثير دهشته ومتعته كونها كانت مدرسته الأولى التي رسمت في وجدانه حقيقة الاستعمار والهجرة والتجهيل والاعتداءات والظلم. "هذه المرأة كانت بارعة في قص الحكايات، إذا كانت تشدنا إليها ونحن متعلقون حولها. كانت مدرستي الأولى، فيها تكونت مداركي"². فمن خلال تلك القصص كون مالك فكرة واضحة وصادقة عن واقعه. كذا كونت فيه الجانب الروحي بكافة القيم الأخلاقية والاجتماعية.

كانت والدته تشتغل بالخياطة لسد حاجيات البيت³، فقد كانت امرأة حكيمة وصالحة وقوية. لقد كان والد مالك متعلما، حيث درس في المدارس الحكومية التي كانت موجودة آنذاك، وكان على اتصال بالحركة الثقافية، ويمتلك مكتبة خاصة به يقتني فيها كتباً قيمة عربية وفرنسية، وكان مالك يطلع على مكتبة والده مما كان له أكبر الأثر في تكوين شخصيته فيما بعد⁴. فأما ذات شخصية كاريزمية واعية لدورها في الحياة الأسرية

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص 21.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 16.

³ مولود عويمر، مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د ط، ج1، 2007، ص11.

⁴ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص140.

الخاصة بها، وأب مثقف مطلع على مجريات ما حوله. كانا بمثابة عاملين فتح أمام مالك فرص النجاة من براثن الجهل، وكان من أصحاب الحظوظ الأوفر من أبناء تبسة.

"أرادت الأسرة منه أن يتربى تربية دينية، فحينما بلغ مالك بن نبي سن الدراسة أدخله والده الكتاب (الجامع) لحفظ القرآن الكريم، وتعلم أركان الإسلام ومبادئه السامية"¹. استغرق تعليم مالك بن نبي بالكتاب أربع سنوات فقط، ولا زال فيها بعد يذكر عقم الطرق التربوية التي كانت سائدة في التدريس مما جعله لم يحفظ من القرآن الكريم إلا اليسير جداً². وهذا الحرص على التنشئة الدينية لمالك نابع من كون أسرته متأثرة دينياً بالحركة الإصلاحية والصوفية الموجودة آنذاك.

يقول مالك عن نشاطه الديني: " كنت أتردد على المسجد، وأقوم بتأدية الصلاة منذ الصغر، وكنت في يوم الجمعة ألبس زياً خاصاً، وكان الجمهور في الليل يتوزعون على طائفتين: التي تذهب للمقاهي الأهلية حيث يقص القصص حكايات ألف ليلة وليلة، أو ملحمة بني هلال، والتي تبقى في المسجد بعد صلاة العشاء لتسمع درس الإمام، وقد كان وعبي يتكون تحت تأثير التيارين"³. وفي نفس الوقت كان مالك يصف حالة الشباب في الفترة الاستعمارية بين حالم وبين واعى.

"دخل بن نبي إلى المدرسة الابتدائية الوحيدة بمدينة تبسة والتي أدخل فيها فصلاً رابعاً خصص لصغار من أبناء *les petits indigenes*"⁴. "إلا أنه في الوقت نفسه ظل يتردد على المدرسة القرآنية. تحصل بن نبي على شهادة الدراسة الابتدائية سنة 1918 بدرجة جيد ووفق في إجتياز إمتحان المنح الذي كان له أكثر من معنى عند الطفل من أبناء المستعمرات الذي لا يستطيع أهله أن يرسلوه إلى الثانوية"⁵.

1 أحمد بن بناسي، مدخل إلى فكر مالك بن نبي، منشورات بن مرابط، الجزائر، 2014، ص 13.

2 بن ابراهيم الطيب، مالك بن نبي و ابن خلدون مواقف أفكار مشتركة، دار مدني للنشر و التوزيع، د ط، 2002، ص 38.

3 مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص ص 32-33.

4 مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 25.

5 موسى لحرش، استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي، ديوان المطبوعات الجامعية للمطبوعة الجهوية بقسنطينة، الجزائر، د ط، 2012، ص 19.

"تابع دروسه في المرحلة التكميلية بمدينة قسنطينة في مدرسة سيدي جليس، وفي هذه المرحلة تعلم النحو والصرف على يد الشيخ عبد المجيد، وكان الشيخ المولود بن الموهوب يعلمه علم الكلام وسيرة الرسول صل الله عليه وسلم. أثر في مالك عمه محمود الذي كان من أصحاب الزاوية العيساوية، وكان عمه يأخذه معه أحيانا إلى هذه الزاوية"¹. وبذلك يتضح تكوين ذلك الطفل الديني منذ بداية حياته، وتنشئته تنشئة إسلامية دينية.

بعد الإنتهاء من الثانوية عمل متطوعا في محكمة (تبسة) وهناك تعرف - من خلال تجوال أعضاء المحكمة في الريف - على رجل الفطرة الذي يستضيف أعضاء المحكمة رغم أنهم حكموا عليه بالضرائب والغرامات، ثم عمل موظفا في محكمة (أفلو) التي تقع جنوب وهران في غرب الجزائر، وهناك أيضا تعرف على الكرم العربي والفطرة الصادقة: "قالناس في المدن لا يستطيعون فهم هذه العقلية أو ذاك النبل في عروق البدوي"². ليتوجه بعد ذلك إلى فرنسا وذلك عام (1930م) في محاولة للانتساب إلى معهد الدراسات الشرقية، ولكن طلبه رفض؛ لأن الدخول لهذا المعهد - كما يقول هو - لا يخضع لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي.

تأثر مالك ببعض المدرسين الفرنسيين، من أمثال مارتن الذي علمه فن التعبير والمطالعة والذي كان يشجعه على الإهتمام بمطالعة الأدب الغربي. و بوبرته علمه التاريخ والأدب الفرنسي. مما سهل على مالك بن نبي لإطلاع على الأدب العربي القديم والحديث وكذا الأدب الفرنسي والغربي بشكل عام: " في هذا الوقت بدأت على ما أعتقد أقرأ المؤلفات. لقد قرأت (بيير لوتي pierre Loti) و(كلود فارير Claude Farrer) وقد قرأت (L'Azyade)... في الواقع قرأت هذه السنة (التلميذ LaDidciple) ل(بيار بورجي). وهذه القصة فتحت أمامي عالم النفس، الذي أتاح لعقل فتي كعقلي أن يتخلى عن شيء من أوهامه وسذاجته، وكان لهذا الإتجاه أن يأخذ بي أبعد من ذلك، لولا دروس

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص 43.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص 174.

الشيخ (مولود موهوب) في التوحيد وسيرة النبي... فقد كانت هذه مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطريق الصحيح"¹.

وقد أتيح لمالك بن نبي خلال الثلاثينيات أن يطلع على الكتب الأجنبية، من بين ما إطلع عليه من كتب في مكتبة سانت جونيف في الحي اللاتيني، على كتاب أويسوالد شبنجلر Oswald Spengler الذي عنوانه "تدهور الحضارة الغربية" (Le déclin de l'Occident) والذي تسبب عند ظهوره في تأثر عميق في الأوساط الفكرية الأوروبية كما إكتشف في نفس الفترة أعمال المفكر البريطاني توينبي Toynbee الذي إنطلق من مقارنة شبنجلر.

إستطاع مالك بن نبي في فترة الدراسة في المدرسة الفرنسية، أن يستفيد من المستعمر بشكل صحيح. حيث كان يتحضر للمساره الفكري، فقد حافظ على توازنه الثقافي، وإنتماه الحضاري بالدمج بين الأصالة والحدثة. تأثر بالقراءات الغربية من حيث المنهج العلمي وطرق التحليل والنقدي، وليس بما تحتويه من أفكار.

كما تأثر مالك بن نبي في تكوينه الفكري والثقافي والعلمي بكتابات ودراسات رواد التجديد العرب والنهضة قبله "وكان اخر هذه المؤثرات كتابان الفكري. أعدهما الينابيع البعيدة والمحددة لاتجاهي الفكري. أعني بذلك كتاب (الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق) لأحمد رضا و(رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده... هذان المؤلفان أثرا على ما أعتقد في أبناء جبلي من المدرسين. أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري منذ تلك الفترة."². " كانت هذه الكتب تصح مزاجي... هذه القراءات شكلت بالنسبة لي قوة أخرى من التنبيه في المجال الفكري، إذا حالت دون إنجرافي في الرومنطيقية التي كانت شائعة في ذلك الجيل من المثقفين الجزائريين"³.

1 مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص ص 64-65.

* مدرسة سيدي الجليس كانت بمثابة معهد إسلامي، حيث يتخرج منه الطلاب لممارسة الوظائف الحكومية في التدريس والمحاماة والطب، من مدرسين، ومحامين، ومساعدين أطباء، وكتاب عدل في المحاكم الشرعية.

2 مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص ص 64-65.

3 مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع نفسه، ص ص 65-66.

وكانت المقاهي تلعب دوراً رئيساً — في ذلك الوقت — في الحياة الثقافية الجزائرية حيث كانت ملتقى للأدباء والمفكرين. ففي المدرسة التي كان يدرس فيها مالك بن نبي كانت قهوة تسمى قهوة "أبو عريب" يقول مالك بخصوصها "إنها كانت تقدم لي فرصاً كثيرة في أحاديث عن الأدب العربي"¹ وكانت هناك قهوة خارج المدرسة تسمى قهوة "ابن يمينه" والتي لعبت دوراً في تكوينه الفكري، فقد كان يعي: "في قهوة ابن يمينه آثار التمزق الفكري والعقائدي حيث كان فيها مناقشات وأحاديث حادة ومثيرة، كان يغذيها التيار المدرسي — ذو الثقافة الفرنسية التي تعطى في المدارس الحكومية — والتيار الباديسي"².

لقد استطاع مالك بن نبي تكوين رصيدا أدبيا من خلال القراءات الواسعة وكذا التكوين المدرسي المزدوج، كما أنضجت مجالس النقاشات في المقاهي الثقافية — بوصفها أحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية — أهم السمات الرئيسية في طبع مالك بن نبي، وهي المجاهرة بأفكاره بطريقة صريحة. فكل هذه العوامل متفاعلة في حياة مالك جعلته يتمكن من بلوغ مكانة فكرية وأدبية ولغوية متميزة مكنته من التأليف باللغتين العربية والفرنسية.

ويرجع إهتمامه بالعلوم الاجتماعية والإنسانية إلى أستاذه وملهمه "حمودة بن الساعي" الذي — حسب رأيه — جعله خبيراً في شؤون المجتمعات الإسلامية، بدل أن يبقى حبيس الهندسة الكهربائية (على الرغم من أنهما من جيل واحد). يقول مالك في هذا الأمر "لقد أصبت هكذا عدداً لا بأس به من المؤثرات الموجهة والمعدلة أو المحركة، وينبغي أن ألاحظ من بين هؤلاء واحدة تبدو فريدة، أعني أثر صديقي (محمد بن الساعي)... كان يكبرني لم يكن مخلصاً ذكياً ومتقفاً بالعربية والفرنسية فحسب، بل هو شخص مثال وقدوة

1 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص 9-27.

* نسبة إلى عبد الحميد بن باديس، أحد العلماء الجزائريين، (1889-1940).

2 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص 150.

...كنت أستمع إلى طريقته في توجيهه الآيات القرآنية لتتخذ تفسيراً اجتماعياً لحالة المجتمع الإسلامي الحاضرة، وكان ذلك يؤثر في نفسي كثيراً¹.

تعرف خلال دراسته في فرنسا على جمعية "الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين" فانتسب إليها وكان هو المسلم الوحيد فيها، حيث تعرف على الوجه الثقافي وبعدها تعرف على الوجه التكنولوجي للحضارة الغربية من خلال متحف الفنون والصناعات حيث درس الكيمياء التطبيقية فيه². وكان إنخراط مالك بن نبي داخل الوحدة المسيحية في حد ذاته اختباراً أخلاقياً للتنشئة الأولى والمراحل التي تلتها.

وواكب وجوده في فرنسا تأسيس مجموعة من طلبة شمال أفريقيا تسمى "وحدة طلبة الشمال الإفريقي المسلمين" وكان هو حلقة الوصل بين المجموعتين ولما أنشأت وحدة المسلمين مجلة شهرية كتب مقدمتها مالك، ووزعت منها نسخ كثيرة في فرنسا والجزائر³. "وحينئذ بدأ مالك بن نبي بإلقاء المحاضرات، وفي فرنسا أخذ يتوجه إلى دراسة الفلسفة، وعلم الاجتماع، والهندسة، وفي أحد المعاهد الباريسية عام 1935م تخرج مهندساً كهربائياً⁴.

أنشأ مالك تجمع لمحو الأمية للعمال الجزائريين، لم يدم طويلاً فحاربه المستعمر ثم حله، تزوج من امرأة فرنسية أسلمت. خديجة الزوجة المخلصة الراقية بفكرها وأخلاقها، كانت له السند والاستقرار. فقد تعرف عن قرب من خلال خديجة على الحضارة الفرنسية. "أتصور أن الأقدار التي سخرتني وسيلة تعرفت خديجة بواسطتها على الإسلام، قد سخرتها هي لأتعرف بواسطتها على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية"⁵. وكانت بالنسبة إليه عبارة عن دراسة أنثربولوجية للحضارة الفرنسية من خلال المعاشة.

1 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص 67.

2 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع نفسه، ص ص 9-27.

3 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع نفسه، ص ص 43-44.

4 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع نفسه، ص ص 57-58-79.

5 مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع نفسه، ص 269.

"وتوجه مالك إلى القاهرة في عام 1956م، وفيها بدأ نجمه يظهر، وبدأ علماء الأزهر والمفكرون يتصلون به، وقد تأثر بعضهم بفكره، وبدأ يعيد صلاته باللغة العربية ويلقي المحاضرات، والندوات الفكرية، ولقد أخذ مع بعض أصدقائه للتحضير لفكرة الثورة وكان يتحدث معهم في سير الثورة الجزائرية"¹.

وبعد نجاح الثورة لم يذهب إلى الجزائر في عهد بن بلة، كان رجوعه إلى الجزائر في عهد هواري بومدين، بعد أن أصبحت حرة بعام واحد فقط وذلك عام 1963م. "تقلد مناصب كثيرة منها : مستشار التعليم العالي، ومدير جامعة الجزائر ووزير التعليم العالي، غير أنه ولظروف أحاطت به، إستقال سنة 1967م، ليتفرغ تفرغا كاملا للعمل الفكري وتنظيم الندوات، وإلقاء المحاضرات، كما إهتدى إلى تأسيس ملتقى الفكر الإسلامي، الذي كان يعقد أسبوعيا في بيته، وكان يؤمه كثير من الشباب من الجزائر والبلاد العربية وأوروبا"². ليتوفاه الله يوم الأربعاء شوال 1393 هـ الموافق 1973/10/31م.

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص113

² <http://www.alnoor.se/article.asp?id=40576>، بتاريخ: 2017/02/25، على الساعة: 21:18.

ثانياً: تحديد بعض المفاهيم التربوية عند مالك بن نبي:

يمثل هذا العنصر مدخلاً عاماً لموضوع الدراسة محل اهتمامنا، حيث سنحاول تحديد بعض المفاهيم التربوية، التي يمكن اعتبارها من بين المفاتيح الضرورية لتعرف على الفكر التربوي عند مالك بن نبي؛ والذي يرى ضرورة تحديد المصطلحات في علم الاجتماع عندنا وفقاً للسياق التاريخي والاجتماعي، وإلا أصبح الأمر أقرب إلى المناقشات الأدبية، وفي هذا العنصر تناولت الباحثة بشيء من التفصيل المفاهيم التربوية والمفاهيم ذات صلة بالتربية كما يراها مالك بن نبي.

1- مفهوم التربية:

عند الحديث عن التربية نجد أنه من الصعب إعطاء تعريف محدد وشامل لها فهناك العديد من هذه التعريفات التي تختلف باختلاف الفلسفة أو النظرة للتربية كما يراها البعض "عملية ضرورية لمواجهة الحياة ومتطلباتها، وتنظيم السلوكيات العامة في المجتمع من أجل العيش بين الجماعة عيشة ملائمة، وضرورتها لكل من الفرد والمجتمع معاً، أما ضرورتها للفرد الإنسان، فتكون للمحافظة على جنسه، وتوجيه غرائزه، وتنظيم عواطفه وتنمية ميوله، ونقل التراث الثقافي إليه، وأنماط السلوك التي ترضى عنها الجماعة، وإن ضرورة التربية لكل من المجتمع والأفراد تظهر في نقل التراث الثقافي والاحتفاظ به وتنقيته من الشوائب وتعديله، وبالتالي استمراره وازدهاره وتطوره وبقائه"¹.

كما تستمد عملية التربية "أسسها ومناهجها وأهدافها من المجتمع ومن ثقافته لأن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتولاها التربية إنما تحقق عضوية الجيل الجديد في المجتمع عن طريق تعليمه لغة الجماعة وفكرها وتقاليدها وعاداتها وعرفها وقيمها ومهاراتها، ويمكن فهم الأصول الاجتماعية للتربية من خلال الأوضاع الاجتماعية والأنماط السيكولوجية السائدة في التربية المجتمعية"².

¹ إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت، لبنان؛ مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، د.ت، ص 32.

² طارق عبد الرؤف عامر، أصول التربية- "الاجتماعية- الثقافية- الاقتصادية"- <https://alhadidi.files.wordpress.com/>

فالتربية بشكل عام هي تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف.

إلا أن التربية عند مالك بن نبي " تسعى إلى توضيح أهمية تكيف الإنسان نفسيا واجتماعيا عن طريق إيجاده للأفكار العملية التي يواجه بها ظروفه الخاصة"¹. كما يؤكد بن نبي على أنها " ليست مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص وعالم الأفكار، عالم الأشياء. وليست نتاج المتعالمين وبحار العلوم، الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم، دون أن يلموا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع، خيرا كانت أم شرا، أو أولئك الذين يعرفون المبادئ والتعاليم التي جاءت بها في الإسلام. فكل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي: الأشخاص، الأفكار، الأشياء، هي حقيقة ميتة"².

وتتمثل التربية في الأثر الذي تخلفه على الفرد والمجتمع " فهي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الاحسن دائما، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أو يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ"³.

وترى الباحثة أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد القادر على إدراك ذاته وإدراك ما يفعل، وهو دائم التغيير حسب العوامل الطبيعية والبيئية والمناخية. وهو لا يعيش منعزلا بل هو يتفاعل مع كل من حوله، فالإنسان جزء لا يتجزأ من المجتمع وكل فرد في المجتمع يمثل عضوا فيه لتكوين بناء متين للمجتمع. إذا فالعلاقة بين الإنسان والمجتمع تتحقق بإعداد الفرد، وتعديل أفعاله وترويض غرائزه، ولن يحصل هذا إلا بالتربية التي تزرع فيه الأساسيات الأولية التي يحتاجها خلال مسيرته مع ذاته أو مع مجتمعه.

¹ مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص 57.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص 99.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 100.

فحسب مالك بن نبي أن " إدماج الفرد في شبكة اجتماعية عملية تنحية، وهو في الوقت ذاته عملية انتقاء، وتتم هذه العملية المزدوجة في الظروف العادية، أي في حالة المجتمع المنظم - المدرسة - وهذا ما يسمى بالتربية"¹.

وترى الباحثة أن مالك بن نبي من خلال هذه الفكرة يشير إلى أن تحديد المكانة الاجتماعية للفرد تتم عن طريق تحديد مكتسباته التربوية والمعرفية.

ووضع مالك بن نبي هدف أساسي للتربية هو " أن نعلم الفرد فن الحياة مع زملائه، أعني أن نعلمه كيف يتحضر"². وهذا مربوط بضرورة العمل الجماعي وتفاعل الأفراد في ما بينهم وفقا للوسط الاجتماعي الديني.

وترى الباحثة أن التربية ضرورة فردية من جهة وضرورة اجتماعية من جهة أخرى فلا يستطيع الفرد الاستغناء عنها ولا المجتمع أيضا. وكلما يرقى الإنسان ويتحضر ازدادت حاجته إلى التربية، فالتربية مسؤولة عن توجيه الفرد نحو التكيف الفعال في هذا العصر المتغير ولا نعني بالتكيف الاستسلام لنواتج الحضارة كيف ما كانت. وهي مسؤولة أيضا على تنمية الحس المشترك فالتربية تحقق للفرد عملية الانتماء الاجتماعي. فالمراد من خلال التربية أن يملك الفرد طاقة روحية وعقلية تساعد على التميز والاستجابة الصحيحة نحو تلك النواتج الحضارية.

2- التخطيط التربوي:

ينطلق التخطيط التربوي من ترتيب الأولويات، وتحقيق الأهداف، وتوظيف كافة الإمكانيات البشرية، ورسم السياسة التربوية، بحيث تراعى فيه مختلف المؤثرات والمعايير التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

يقول مالك بن نبي " إن عملية إعادة التنظيم والتوجيه (البناء والتفعيل) ينبغي أن تكون المهمة الأولى في خطة النهضة الإسلامية، لأن تحقيقها هو الذي يوجد الشرط الأول لتحويل الجهود في نطاق هذه النهضة إلى جهود فعّالة، وقد تم هذا العمل في المجتمع

¹ مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص78.

² مالك بن نبي، مشكلة الافكار في العالم الإسلامي، المرجع نفسه، ص99.

الإسلامي الأول بفضل رعاية الفكرة القرآنية، لا على أنها مفاهيم تدرس، وتعلم على يد فقهاء في الشريعة، ولكن على أنها "حقيقة" عاملة مؤثرة، تجمع في نظامها مباشرة كل ما يقوم به الفرد من أعمال وإشارات"¹.

إن للتخطيط التربوي خصائص مهمة حاول أن مالك إبرازها، منها أن: "تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع؛ فإذا ما تغير هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدل في الإتجاه نفسه. إن الأفكار تكون في مجموعها جزءا هاما من أدوات التطور في مجتمع معين"².

نفهم من هذا أن مالك بن نبي في هذه الفكرة أرد الإشارة إلى أحد خصائص التخطيط التربوي المهمة ألا وهي الواقعية. حيث لابد لنا من معرفة الواقع التربوي الحالي ومنظومته الفكرية ومن ثم ربطها بالواقع الاجتماعي، حتى يمكننا وضع خطة تربوية قابلة للتنفيذ وتساعد في تطوير المجتمع.

"والمقصود بالمنظومة الفكرية هي مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تنتشر في ثقافة ما والتي تشكل إطارها المرجعي، بحيث أنها تحدد طبيعة علاقة الأفكار التي يحملها الإنسان بالمعتقد الديني أو المذهبي، بالعمل، بالأشياء، بالتاريخ، بالثقافة، بالآخر، بالأهداف المنشودة والوسائل الموصلة إليه وبكل شيء"³.

وترى الباحثة من خلال هذا الرأي أن الخطة التربوية ينبغي أن تكون شاملة حيث تتضمن العناصر الداخلية للعملية التربوية، وكذا تراعي مختلف المجالات التي يتفاعل معها النظام التربوي، فلا معنى لخطة تربوية تبرز الأهداف وتغفل وسائل تحقيقها وهذا ما نلاحظه في الخطط التربوية الحالية وترد الباحثة السبب إلى أن المنظومة الفكرية مصدرها فوقى تحكمه نزعة أيولوجية، فهو لا ينسجم مع مطالب الفرد وكذا الجماعات.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 101.

² مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص 13.

³ محمد بغداد باي، التربية والحضارة- بحث في مفهوم التربية و طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط2، 2007، ص 147.

ينتهي مالك بن نبي إلى " أن أهمية الأفكار في حياة مجتمع معين تتجلى في صورتين: فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة، تجعل النمو الاجتماعي صعباً أو مستحيلاً"¹.

وترى الباحثة أن التخطيط التربوي ضرورة، فهو يمثل مجموعة التصورات الأولية القائمة حول المشروع التربوي؛ والمتمثلة في مجموعة الأفكار التي يحملها المجتمع عن مشروعه التربوي في الماضي والواقع المعاش وماذا يمكنه أن يضيف لهذا المشروع من أفكار وتصورات جديدة في المستقبل. تلك الأفكار المتمثلة في الأسس والغايات المرجوة من التربية وفق لخصائص المجتمع. بمعنى أن المنظومة الفكرية لأي مجتمع تنعكس على التربية فإما أن تجعل منها استثماراً حقيقياً أو العكس، وهذا باعتبارها أداة تكوين الإنسان صانع التنمية بكل مجالاتها.

يقول مالك في هذا " إذا درسنا أوجه النشاط في بلد معين، وجب علينا لكي نفهمها أن نردها إلى إطار حضارة، تستمد منها الحياة أشكالها، ويشكل فيها الفرد دائماً أفكاره وضروب نشاطه، على المنوال الذي صنعه القرون والأجيال"²

ترى الباحثة من خلال هذا الرأي أن الخطة التربوية ينبغي أن تكون مستمرة ومرنة، بحيث تكون كل خطة مرتبطة بما سبقها من تخطيط، وأن يتوفر في الخطة حظ كاف من المرونة، بحيث يمكن تعديلها حسب الظروف.

فإن أي تخطيط تربوي يبتعد بأفكاره وغاياته عن الأساس التاريخي والاجتماعي والحضاري للمجتمع ووفق لروح الجماعة، فحتماً سوف يصاب بخيبة أمل أكيدة.

يضرب لنا مالك بن نبي مثال على ذلك: "إن دول العالم الثالث في مجابهتها للاستعمار بنت أيديولوجية نضالية غايتها الاستقلال، فلما استقلت فقدت الباعث لتحريك الطاقة الاجتماعية وفقدت الأيديولوجيات، حيث انحرف النشاط الفردي نحو الخصوصية

1 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 14.

2 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 35.

والنزعة الفردية من جديد، وتحددت الأزمة في أن هذه الشعوب تملك استقلالاً وتملك مشاريع عمل لكنها لا تملك أيديولوجيا¹.

تخلص الباحثة إلى أن التخطيط التربوي ينبثق من حاجة التربية نفسها إلى التخطيط وهو كون مشكلات التربية مشكلات متداخلة متكاملة وكون الحلول التي ينبغي أن تقدم لها حلولاً لا بد أن تكون شاملة ومتوازنة تستمد مبادئها من الواقع، تجمع بينها نظرة واحدة شاملة ويلمها إطار موحد، فإذا أراد المجتمع العربي الإسلامي أن ينطلق في صياغة مشكلاته التربوية وتصور حلول لها فلا بد من أن يكون للتربية خصوصيتها الثقافية والاجتماعية والعقائدية والحضارية.

فالمجتمعات الإسلامية اليوم تحتاج لقاعدة متينة لبداية مشروعها التربوي في بناء الإنسان والمجتمع، فالتربية تقوم بوظيفة التنبيه والتحريض؛ تنبيه الإنسان لما حوله من خطر والتحريض على إعداد العدة لمواجهة، وعلى ضرورة إحداث التغيير نحو الأفضل لبلوغ شكل الحياة الراقية والتي سماها مالك بن نبي بـ"الحضارة".

ثالثاً: مفاهيم ذات الصلة بالتربية

1- الثقافة:

إن للثقافة مكانة رفيعة في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات والأفراد ، وإن التربية هي السياق الذي تصل الثقافة من خلاله إلى الفرد في أي مجتمع، فالتربية وثيقة الصلة بالثقافة ويؤثر كل منهما بالآخر ويتأثر به، فالتربية هي المجال الذي يتم فيه بناء ذات الفرد بكل مقوماتها الفكرية والأخلاقية والسلوكية ، وهي المعايير الأساسية في بناء ثقافة الفرد من خلال ما تقدمه التربية من مناهج ونماذج وبرامج، وبمقدار ما تصوغ التربية ذات الفرد تأتي مخرجات هذه العملية إيجابية أو سلبية.

1 حمودة سعيدي، مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي، رسالة ماجستير ،الجزائر، جامعة الجزائر، 1980، ص227.

ففي بداية الأمر وضع مالك بن نبي تصور لمفهوم الثقافة بصورة عملية: "بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه؛ فهي إذن "المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"¹. فهذه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه. تعود في الأساس إلى الأفكار والاعتقادات التي يتلقاها طوال مراحل حياته المتسلسلة من خلال عملية التربية.

وهو يرى أن هناك فرقا بين الثقافة والعلم أو المعرفة، "حيث الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة"²، وضرب للتدليل على ذلك مثلا: أن سلوك فردين ينتميان لمجتمع واحد ومستوى علمي مختلف كطبيب وراعي إنجليزيان، يتميز بتمائل معين في الرأي إزاء مشكلات الحياة مما يمثل (الثقافة الإنجليزية)، بينما يختلف سلوك طبيبين من مجتمعين مختلفين.

ترى الباحثة أن مجال الثقافة أوسع من العلم وبما أن الثقافة تحدد سلوكيات الأمة الحضارية، فلا بد أن تكون حضارة كل أمة متميزة عن حضارة الأمم الأخرى.

فالثقافة تتميز عن العلم بالخصوصية والتنوع والشمول فإن لكل أمة ثقافتها، حيث تعكس الثقافة مستوى التحضر للمجتمعات. بينما العلم له ميزة العالمية فهو لا يخص أمة دون أخرى وهو يتميز أيضا بالتخصص.

"فليست الثقافة سوى تعلم الحضارة، أعني استخدام ملكاتنا الضميرية والعقلية في عالم الأشخاص. وليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة، أي إنه مجرد جهد تبذله عقولنا حين نستخدم في عالم الأشياء. فالأولى تحركنا وتقحمنا كلية في موضوعها. وأما الثاني لأنه يقحمنا في مجاله جزئياً. والأولى تخلق علاقات بيننا وبين النظام الإنساني، والآخر يخلق علاقات بيننا وبين نظام الأشياء"³.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص 89.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 88.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 96.

يقول مالك في هذا: "الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة... وهي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتقدم... والحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية"¹.

وتوافق الباحثة المفكر مالك بن نبي في أنه لأجل فهم مفهوم الثقافة بصفة أدق لابد من تحديد من الناحيتين الحيوية والتربوية، فالثقافة في مهمتها التاريخية، تقوم بالنسبة للحضارة بوظيفة الدم بالنسبة للكائن الحي، فالدم ينقل الكريات البيضاء والحمراء التي تصون الحيوية والتوازن في الكائن كما تكون جهاز مقاومته الذاتية. وإن مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار.

■ وظيفة الثقافة الحضارية:

وحتى تعود الثقافة إلى وظيفتها الحضارية يجب أن نحددها كعامل تاريخي لكي نفهمها، ثم كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع. فالوظيفة التاريخية (الحضارية) الأساسية للثقافة حسب مالك بن نبي "هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة... فهي تلك الكتلة نفسها، بما تتضمنه من عادات متجانسة وعقريات متقاربة وتقاليده متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة. وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة"².

تخلص الباحثة إلى أن وظيفة الثقافة الحضارية هي أن تجعل الحضارة أكثر إنسانية تتمحور حول قيم ومبادئ تخدم المصلحة الإنسانية؛ فالتطور المادي وحده قد يكون مدمرا أو يخلق فروقا طبقية ويولد الأحقاد.

1 مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 92-93.

2 مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 93.

■ الثقافة كنظام تربوي:

إن العلاقة بين الثقافة والتربية علاقة وثيقة لا تقبل الانفصال. فالتربية تستمد مقوماتها من ثقافة المجتمع ، كما تنتقل الثقافة في المجتمع من جيل إلى آخر عن طريق الوسائط التربوية من أسرة ومدرسة ومسجد وغيرها.

وكم هو دقيق ذلك التشبيه الذي وضعه مالك بن نبي رحمه الله للثقافة حيث يقول: "هي ذلك الدم في جسم المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكار "النخبة" كما يحمل أفكار "العامة"، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة. وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي، وهو يتألف من عناصر أربعة. يتخذ منها الشعب دستوراً لحياته المثقفة:

- 1- عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية.
- 2- عنصر الجمال لتكوين الذوق العام.
- 3- منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام .
- 4- الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع، أو (الصناعة) حسب تعبير ابن خلدون¹.

وتخلص الباحثة إلى أن المجتمع الذي يريد أن يكتب له الخلود والبقاء والاستمرار، لابد أن يربي أبنائه وأجياله على نمطه الثقافي. فالتربية هي الأداة الفعالة لنقل الثقافة ورفع مستواها. وأن تحديد معنى الثقافة بمعناها التربوي يتم بواسطة صوغ أهدافها، وما تتطلبه من وسائل التطبيق.

2- التغيير الاجتماعي:

إن التغيير والتربية يشتركان في الموضوع إلى جانب إشتراكهما في الهدف الذي هو تربية الإنسان وتحقيق التغيير؛ أي تربية الإنسان بما يحقق التغيير نحو الأفضل. كما

1 مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 93.

يمكننا القول أن المشروع التربوي مقارنة دينامية بمعنى أنه في سيرورة دائمة؛ فالتربية تعكس لنا حاضر وتاريخ ومستقبل ذلك الانسان الاجتماعي الذي نراه من خلال احتكاكه بالآخرين، والذي يتأثر بمختلف المعايير الاجتماعية، والذي يتشكل فكره بالتربية ضمن إطار اجتماعي ويتحدد في قالب ثقافي وأخلاقي، ثم تنعكس تلك التربية في صور اجتماعية. حتى يصبح قادرا على ممارسة دوره في حركة المجتمع والتاريخ بشكل فعال وكقاعدة حتمية تعارف عليها علماء الاجتماع أنه لا يوجد مجتمع بدون تاريخ.

2-1- مفهوم التاريخ عند مالك بن نبي:

يعرف مالك بن نبي التاريخ " النشاط المشترك بين عالم الاشياء والأشخاص والأفكار أو بمعنى آخر التاريخ نفسه ليس إلا قائمة إحصائية لعدد معين من الحركات والأفكار، وشكل له حقل دراسة وثروة من التجارب البشرية التي يتأملها في مختلف أطوارها في نجاحها وفي اخفاقها"¹. فهو مسارا مكونا من مجموعة حضارات تتعاقب بشكل دوري.

"والتاريخ على أية حال ليس سوى هذا التغيير الذي تتعرض له (الذات)، والمجال الذي يحوطها على سواء. أي إنه ما ذهب إليه علم الاجتماع: (النشاط المشترك) المستمر الذي تقوم به الكائنات والافكار والاشياء، مطبوعا على صفحة الزمان. وإذا أردنا تعبيراً أدق فإننا نقول: إن صناعة التاريخ تتم تبعا بتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة:

- تأثير (عالم الاشخاص)

- تأثير (عالم الافكار)

- تأثير (عالم الاشياء)"².

" إن العمل التاريخي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يتم عمل تاريخي إذا لم تتوفر صلات ضرورية داخل العوالم

¹ مولود عويمر، مالك بن نبي رجل الحضارة، مسيرته وعطاؤه الفكري، تيزو وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص ص 77-78.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص ص 26-27.

الثلاثة لتربط أجزائها في نطاقها الخاص وبين هذه العوالم، لتشكل كيانها العام، من أجل عما مشترك"¹.

" وكما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة، فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها- وهي التي تتجسم في صورة (حضارة)- يعد ضروريا أيضا. وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود (عالم) رابع، هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية، أو ما نطلق عليه (شبكة العلاقات الاجتماعية)"².

تخلص الباحثة إلى أن التاريخ في أبسط معانيه هو العلم الذي يفسر كل تطور يحدث في النظام الفكري والأخلاقي والقيمي وشبكة العلاقات الاجتماعية الذي يحكم الفرد والجماعة البشرية خلال فترة زمنية لأجل فهم الإنسان. فالمعرفة التاريخية التي تساعد الفرد على معرفة ماضيه؛ أي أصوله التي تعينه على فهم مكونات حاضره واستشراف الطريق إلى مستقبله.

2-2- مفهوم فكرة الحركة:

" والواقع أن فكرة الحركة، تلك التي تتطابق مع مفهوم التغير والتطور، تعد عنصرا جوهريا في التعريف في علم الاجتماع... فإن الحركة في علم الاجتماع تستتبع فكرة ذات قيمتين: فإن تطور الجماعة يؤدي بها إما إلى شكل راق من أشكال الحياة الاجتماعية، وإما أن يسوقها على عكس ذلك إلى وضع متخلف"³.

" وفي مقابل ذلك نجد أنه حينما تتعدم الحركة، فإن الجماعة الإنسانية تفقد تاريخها: إذ تصبح... لا غاية لها"⁴.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 27.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 18.

⁴ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه.

فهذا هو نهاية الأمر المقياس الأساسي الذي يساعدنا على أن نواجه مشكلة مجتمع معين: تكسب الجماعة الانسانية صفة (المجتمع) عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غاياتها. وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة¹.

إننا نقصد بالحركة تلك التغيرات التي تطرأ على كافة جوانب الحياة في المجتمع ويتضمن ذلك وسائط التربية والدين والثقافة... الخ. بمعنى أن التغير في الجزء يؤدي إلى تغيرات في البناء الكلي. التغير ظاهرة عامة في كافة المجتمعات لكن الذي يهمنا هو معدله وعمقه ومبلغ سرعته، فهناك عصور تتميز بالتغير السريع والأخرى التغير البطيء.

2-3- الاتجاهات المفسرة للتغيير الاجتماعي (حركة التاريخ):

وقد ظهرت اتجاهات مختلفة حول تفسير التاريخ، وبيان الدوافع التي تحرك الأحداث التاريخية. ولكن قبل البدء بعرض أهم هذه الاتجاهات، لابد من الإشارة إلى أمر هام جداً، وهو أن التفسير التاريخي غير التعريف التاريخي، فالتعريف: هو ماهية التاريخ أما التفسير، فهو العوامل المحركة لهذا التاريخ.

• الاتجاه الاجتماعي:

"أما ابن خلدون*، فقد تمكن من قبل من اكتشاف منطق التاريخ في مجرى أحداثه، فكان بهذا المؤرخ الأول الذي قام بالبحث عن هذا المنطق إذا لم نقل أنه قد قام بصياغته فعلاً. فقد كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية (La Loi du Cycle) لولا أن مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة ونعني به- الدولة- وليس عند الحضارة نفسها. وهكذا لم نجد فيما ترك ابن

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع المرجع نفسه.

* عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، (1332 - 1406م)، توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها. وقد سبقت آراؤه ونظرياته ما توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدداً من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسي أوجست كونت.

خلدون غير نظرية عن تطور الدولة في حين أنه كان من الأجدى لو أن نظريته رسمت لنا تطور الحضارة"¹.

تخلص الباحثة من هذه الفكرة إلى أن مالك بن نبي يشهد بالإسهامات النظرية لابن خلدون في تفسير التاريخ وأنه كان يمكن له السبق في صياغة قانون دورة الحضارة. لولا أنه اكتفى بتحليل ناتج من نواتج الحضارة هي الدولة. لذا فمالك بن نبي يؤكد أن القرن التاسع عشر هو الذي ظهر فيه تفسير الوقائع الاجتماعية في إطار ظاهرة الحضارة. ومن أمثلة هؤلاء: هيغل*، ماركس، توينبي*، جيزو*، شبنجلر* ... وغيرهم من علماء الاجتماع و النفس.

• الاتجاه المثالي:

" فـ (هيجل) يرجع الأسباب التي تحكم كل حركة تاريخية، أعني كل تغيير اجتماعي إلى مبدأ التعارض الذي يتكون من قضية ونقيضها. فحينما تنشأ الحركة طبقاً لهذه الأسباب المتعارضة، فإن غايتها تتمثل أمامه في صورة اندماج وتركيب محتوم! فهذه هي الأحوال الثلاث التي تسيطر على كل حركة تاريخية في رأي هيجل، وبالتالي يتلخص فيها كل تغيير اجتماعي"².

إن تفسير حركة التاريخ عند هيجل تتمحور في أن الفكرة تؤسس للواقع وأن التطور قائم على صراع الفكرة مع نقيضها المفضي لتأسيس فكرة جديدة. ويبني هيجل على ذلك أن تاريخ العالم وتطوره مرتبط بتجدد الأفكار وتطورها(صراع أفكار).

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص18.

* جورج فيلهلم فريدريش هيغل (ولد 27 أغسطس 1770 — 14 نوفمبر 1831) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتمبيرغ، في ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة، في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي.

* ارنولد جوزيف توينبي، مؤرخ انجليزي ولد عام 1889، توفي عام 1975.

* فرانسوا جيزو سياسي ومؤرخ فرنسي من مواليد مدينة نيم في 4 أكتوبر 1787 - وتوفي بمدينة Saint-Ouen-le-Pin في 12 سبتمبر 1874. يستشهد مالك بن نبي بنظريته في فلسفة التاريخ في مؤلفاته كثيرا.

* أوسفالد أرنولد غوتفريد شبنجلر، مؤرخ وفيلسوف ألماني شملت اهتماماته أيضاً الرياضيات والعلم والفن، صاحب نظرية عن سقوط وازدهار الحضارات.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 21.

• الاتجاه المادي:

وتمثلت الفكرة الماركسية في أن " الأسباب المتعارضة التي تؤدي الى حدوث التغييرات الاجتماعية ذات طابع اقتصادي: فميلاد المجتمع وشكل الحضارة الذي يتخذه ناشئان عن التعارض الاقتصادي"¹. بهذا أعاد ماركس * صياغة نظرية هيغل في إطار مادي. إن كل اكتمال تاريخي لا يكون إلا نتيجة الضرورات المادية وحاجات الإنسان الأساسية، وهكذا نجد في التفسير الماركسي للوقائع التاريخية ثغرة أحدثها التحليل المفرط في المنهجية لهذه الوقائع، ذلك التحليل الذي يتخذ نقطة انطلاق، من حتمية مادية لتفسير دورة الحضارة.

• الاتجاه البيولوجي:

أما القرن العشرون فقد شهد بواذر تفتح مناهج أخرى للتفسير، يفسح فيها المجال داخل "تكوين" الحضارة لعوامل أخرى غير العوامل المقصورة على حاجة الإنسان المادية ووسائل الإنتاج.

حيث يرى توينبي أن حركة التاريخ تسير على إيقاع التحدي والاستجابة في كلا الوسطين الروحي والمادي، حيث اعتبر أن الحركة التاريخية، ما هي إلا سلسلة من التحديات والاستجابات. " لقد اتبع المؤرخ الإنجليزي الكبير منهجاً، ينطبق في جانب منه على تخطيط هيغل، وذلك حين شبه فكرة التعارض بعقبة ذات طابع اقتصادي أو فني عبر عنها بكلمة (التحدي). وفي رأيه أن التحدي يتوجه إلى ضمير الفرد أو الجماعة وتكون مواجهته له بالقدر الذي تكون عليه أهمية الاستفزاز وخطورته، فهناك تناسب بين طبيعة الاستفزاز وبين الموقف الذي يتخذه الضمير في مواجهته... فهناك إذن حد يبدأ منه

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص ص 21- 22.

* كارل هانريك ماركس، كان فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري (5 مايو 1818م - 14 مارس 1883م). لعبت أفكاره دوراً هاماً في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ.

ما أطلق عليه توينبي (التحدي المناسب) الذي يستلزم نشوء (إجابة) كافية لتحريك أسباب التغيير¹.

تلخص الباحثة فكرة توينبي في أن تحدي قوي بالغ الشدة وهو زائد عن الحد وهو الأكبر من قدرة المجتمع، والذي لا يستطيع الإنسان تطوير آليات للتغلب عليه. وتحدي متوسط الشدة (الخلق) يصل هذا التحدي إلى درجة معقولة تستثار فيه الطاقات الحيوية في الأفراد. بينما تحدي ضعيف، يجعل الفرد عاجزاً تماماً عن تحقيق استجابة ناجحة.

نستنتج من هذا أن السبب في بقاء بعض الجماعات الإنسانية في حالة راکدة، لا تكون (مجتمعا) فإما أن التحدي لم يكن كافياً لدفع طاقتها إلى إجابته، وإما أن هذه الجماعات تقف عاجزة تماماً عن تحقيق استجابة ناجحة.

• الاتجاه البنيوي (الإسلامي):

ويتفادى بن نبي مفهوم الحركة أو التحرك الاجتماعي بالصيغة التي يحللها بها المنظور الماركسي الذي يأتي في سياق كون ميلاد المجتمع وتشكل الحضارة ناشئين عن التعارض الاقتصادي، لأن هذا المنظور يغيب دافعية المثل الأعلى وتوجيه الروح أثناء تحرك المجتمع، ولهذا يحدد بن نبي المجتمع في مجموع العوامل الناتجة عن القوى الروحية (الفطرية الملقحة بالإيمان) التي تجعل من النفس المحرك الجوهرى للتاريخ. وعارض بن نبي فكرة المؤرخ الإنجليزي (جون ارنولد تونبي) حين شبه الفكرة التي تفسر حركة التاريخ، بعقبة ذات طابع فني عبر عنها بكلمة (التحدي).

لعل أهم نقد يمكن توجيهه لهذه الاتجاهات والنظريات هو: اعتمادها على بعد واحد في تفسير حركة التاريخ والمجتمع؛ فنظرة ماركس في تفسير حركة التاريخ هي رؤية مكملة لهيجل، إذ يرى الأول أن الصراع قائم حول وسائل الإنتاج. بينما يرى الآخر أن الصراع في العالم يدور حول الأفكار. أما بالنسبة لتوينبي وضح لنا كيف أن نقص التحدي أو زيادته وعنفه يؤثران بصورة واحدة على قوى التاريخ الإنساني.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص ص 22 - 23.

أما مالك بن نبي فقد فسر "الحركة التاريخية" (التغيير) وفق صياغة قرآنية بعدما أن أوضح عدم قدرة الطريقة الماركسية وطريقة توينبي على تفسير منشأ الحركة التي كانت سبب في ميلاد المجتمع الإسلامي حيث يقول أنه بإمكاننا: "أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع، أعني شروط حركته عبر القرون"¹.

"ونحن يمكننا إلى حد ما أن نصوغ هذا الرأي الذي ذهب إليه المؤرخ صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم، لقد نستطيع أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع، أعني شروط حركته عبر القرون. والواقع أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما: الوعد والوعيد... فالوعيد هو الحد الأدنى الذي لا يوجد دونه جهد مؤثر، والوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد من ورائه مستحيلا، وذلك حين تطغى قساوة التحدي على القوة الروحية التي منحها الإنسان. وبذلك نجد أن الضمير المسلم قد وضع بين حدي العمل المؤثر"².

وتنتهي الباحثة إلى أن مالك بن نبي قد إستفاد في تحليل المجتمع والتاريخ وسنن التطور البشري. من تلك النظريات الاجتماعية والفلسفية والنفسية التي اكتسبت حظا كبيرا من الانتشار والعلمية، إلا أن ما ميزه عنها هو أنه فسر حركة التاريخ في ظل واقع عربي مسلم. وهذه ميزة الباحث الناقد والذكي الذي يتقن كيفية التعامل مع هذه الأفكار سواء باحتوائها أو محاولة التواصل مع أصحابها بالاستعارة والتكيف وفقا لواقعه.

2-4- العوامل المؤثرة في حركة التغيير الاجتماعي:

• دور الابطال:

فالابطال هو نموذج الإنسان الذي يتميز بالكمال البشري، يحمل صفات تؤهله للقيام بمواقف نبيلة للتضحية لصالح المجتمع، فدوافعه الدينية وشرفه الإنساني قد حتما عليه مثل

¹ مالك بن نبي ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 24.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 24

هذا المسير. وكلما كان البطل الملهم الفذ ذا شخصية كاريزمية كانت لديه القدرة على خلق القناعات وإحداث التغيير الاجتماعي والقيام النهوض الحضاري.

أما في الماضي "فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد، لا في ثورة شعب وفي قوة رجل، لا في تكاتف مجتمع، فلم تكن حوادثها تاريخاً، بل كانت قصصاً ممتعة ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مناجاة ضمير لصاحبه، لا يصل صده إلى الضمائر الأخرى، فيوقظها من نومها العميق"¹.

"ولو أننا سألنا أحدهم عن بواعث كفاحه، فإنه لا يستطيع أن يجد بكل وضوح المسوغات التي تتصل عادة بالأعمال التاريخية، فهو يعلم أن مجهوداته كلها تذهب هباءً غير أن دوافعه الدينية وشرفه الانساني قد حتماً عليه مثل هذا المسير"².

يرى مالك بن نبي أن البطولة والأبطال لا تقود إلى يقظة شعب بل هي تنطلق من دوافع فردية وليس لديها القدرة على تحريك الشعوب نحو النهضة؛ لذا اعتبرها خارج حركة التاريخ لعدم جدوها. فهذه الأشباح بعد قرنين من الزمان تبقى تماثيلها شواهد جامدة على مجد قد فات وانتهى. وهو يرجح أهمية المحركات الاجتماعية على الفردية، مستعيراً ذلك من ابن خلدون "القبلية" و"العصبية" رغم أنه لا يراها كافية لكنها الأصلح في تحريك التاريخ واستمرار المجتمع وتطوره.

يقول مالك في ذلك: "الرابطات القبلية قد ظلت وحدها الرابطة الوثيقة التي توحد بعض الرجال، غير أن هذه الرابطة لم تكن بكافية لتأهيل شعب ليؤدي رسالة تاريخية وإن كانت أهله للقيام برواية حماسية رائعة، ولكن التاريخ يقرر أن الشعب الذي لم يقوم برسالته، أي بدوره في تلك السلسلة، ما عليه إلا أن يخضع و بذل"³.

أما الباحثة فتري أن البطل يبقى دوره فعالاً ويصبح العامل الحاسم في التغييرات الاجتماعية ما لم يتحول هذا البطل إلى أسطورة؛ فقد يحدث في أحياناً كثيرة أن يقوم

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 25.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص ص 22-23.

البطل بإحداث تغيير إيجابي، فيرفعه أفراد المجتمع إلى مكانة عالية، تصل إلى درجة التقديس، وربما تصل إلى درجة العبادة. إذ أن المبادئ عندهم -مهما كان نوعها-، ترتبط بالأشخاص أكثر منها من الفكرة في حد ذاتها. فبدلاً من تبني المبادئ التي هي سر نجاح هؤلاء الأشخاص يقومون بالتعويل عليهم لإحداث التغيير، لذا يمنحهم زمام الأمور لدرجة التقديس والاستسلام.

• دور الوثنية:

يرى مالك بن نبي أن إقامة الأوثان والأصنام وعبادتها ما هي إلا مظهر من مظاهر الوثنية التقليدية، وإن الوثنية الحقيقية هي تغييب العقل عن الفكرة الصحيحة؛ والتي تتناسب مع دور الإنسان المتكامل بشريا والذي خلق لأجله.

حيث يقول في ذلك: " إذا كانت الوثنية في نظر الإسلام جاهلية، فإن الجهل في حقيقته وثنية، لأنه لا يغرس أفكارا بل ينصب أصناما... فلم يكن من باب الصدفة المحضة أن تكون الشعوب البدائية وثنية ساذجة... ومن سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة بيزغ الصنم، والعكس صحيح أحيانا"¹.

وترى الباحثة أن الوثنية اتخذت في الوقت الحالي ملمحا جديدا، تمثل في انتقال الأفراد من الشرك بالله لعبادة الأفكار، فأوجدت لها أفكارا جديدة وقدرتها لدرجة العبادة فلا تأتمر إلا بأمرها ولا تنتهي إلا بنواهيها وليس لها مرجع سواها وأضحت تلك الأفكار هي الغاية التي يقصرون حياتهم لنصرتها وللدفاع عنها وترويجها والدعوة إليها، ورفعوها لمصاف الأوثان والتي لا يسمحون لأحد بالمساس بها، وقد يتم تمريرها عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية لأفراد كثيرين.

ومن بين هذه الأفكار التي راجت عند الكثيرين: التحرر، وحب الظهور، تبسيط الحرام واستحلاله بقتل العادات العربية واستبدالها بأخرى غريبة، وابتعدوا تماما عن المنهج الإلهي، ولو تعارض المنهج الإلهي مع ما يقولون به، وقد يتم اتهام كل متمسك

¹ مالك بن نبي ، شروط النهضة، المرجع السابق، ص30.

بالمبادئ بالتخلف وبأنه إنسان غير حضاري. ورغم ذلك فهم يحاولون مغالطة الناس بقولهم بأنهم مسلمون ويؤدي بعضهم الشعائر الإسلامية حتى لا يظن أحد أن هذه الأفكار تتعارض تماماً مع الفكرة الإسلامية. إلا أن في حقيقة الأمر ما هي إلا وثنية وانكباب على عبادة أفكار غربية بحته.

ونحن نرى هذا الخلط في المفاهيم والأفكار جعل أمتنا المسلمة تأخذ نصيباً من الوثنية الفكرية؛ مما جعلنا نستشعر ضرورة التركيز على فكرة توجيه الأفكار عن طريق البرامج التربوية والوسائط التربوية. كما لابد لهم من التدقيق في كل ما هو جديد والعمل على إظهار حقائق وتوضيح المفاهيم التي اختلطت على أفراد المجتمع، وذلك بتشجيع أبناء المجتمع على اكتشاف الأفكار الدخيلة.

• السياسة والفكرة:

إن أي خطأ ترتكبه الفئة المثقفة يكلف الأمة الكثير؛ لأن هذه الأخيرة تسحب معها بقية المجتمع نحو أي فكرة يتم تبنيها مهما كان نوعها، إيجابية أم سلبية ويتم تمريرها عن طريق التربية عبر الأجيال وذلك في كافة المجالات، فعملية السحب تكون في هذه الحالة بشكل تلقائي. فالكثرة التي لا تعي عالم الأفكار تعول على الفئة المثقفة في البناء والتخطيط في كافة المجالات: التربوية، والاجتماعية، والاقتصادية،... وغيرها. وقد ضرب مالك بن نبي مثال عن هذا السحب بما حدث للفكرة الإصلاحية في الجزائر.

" إن الكلمة لمن روح القدس، إنها تساهم إلى حد بعيد في خلق الظاهرة الاجتماعية،... وعلى الرغم من قوة عبارات الإصلاحيين الجزائريين، فإن هذه الكلمات قد انحرفت- أحياناً وبكل أسف- عن أهدافها، لأسباب تضاد المنهج، فلقد كان النوم يحذرهم عن أن ينشروا وعيهم وجهدهم باستمرار، فكانت النتيجة انحرافاً. ولا نتيجة، لأن الحكمة قد تركت مكانها للانتهازية السياسية"¹. كل شيء في الوجود يبدأ بفكرة، ثم تتحول الفكرة إلى واقع، ثم إلى هدف، ثم إلى الفعل، حتى تصبح حقيقة.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 28.

"لقد إنطلقت الأفكار، ثم تلاقت وتصارعت، ... وظهرت النظريات الاجتماعية التي كانت يومئذ رائجة في سوق الأفكار، ظهرت هذه النظريات في أفكار الشباب المتطلعين إلى كل تجديد، فهذا يرنو إلى المذهب الكمالي، وذاك يأخذ بالمذهب الوهابي وذلك ينزع إلى التمدن الغربي، ومنهم من انحدر بفكره إلى مذهب المادة"¹.

في ظل التفرق المذهبي والنظري وتبني رجال الدين والإصلاح المبادئ السياسية نجحت السياسة الاستعمارية في إخفاق المحاولات الإصلاحية، حيث اختاروا أن يمارسون السياسة كمهنة وليس كإصلاح، فحدث خلط بين وظيفة السياسي وواجبات رجل الدين، مما أوقع العوام في الحيرة وأشعرهم بالجمود والاستسلام. إن السياسة تحاول في كل مرة أن تستفيد من الفكرة الدينية والغيبيات لمحاولة السيطرة على المجتمعات والهيمنة على العقول.

لذا يرى مالك بن نبي أن الحركة الإصلاحية تعثرت أمام إغراءات السياسيين وقراراتهم، فبعد أن بدأت بنجاح فإنها فشلت فشلا شديدا عند دخولها المعامع الانتخابية. وأن السياسة ليست ذات أهمية تاريخية فعلية وليس هناك تأثير للسياسة على حركة التاريخ بل هي خارج تلك الحركة. بل تعتبر في بعض من الأحيان من المعوقات، حيث أنها تبدو فكرة عقيمة وغامضة، أكثر من كونها عملية يعترئها الوضوح. وقد كان ذلك ممكنا إذا فهم الإصلاحيون ماهية السياسة وتفتنوا إلى ألعابها. لكنهم وقعوا في فخ الخطط الموجه والمسيبة، فأنحرفوا بذلك عن مسار والأهداف والغايات التي نهضت لأجل الوصول إليها. وهي بذلك تتحرف ببقية أفراد المجتمع عن طريق الرشاد، فتفشل بذلك بؤادر النهضة.

فقد كانت للحكومة السياسية يدها الخارجية في إيقاع بعلماء الحركة في المعامع الانتخابية و تضليلها بالوعود الكاذبة فقتلت الفكرة لكي تعيش المصلحة. يقول مالك بن نبي في هذا: "لقد كان ذلك ممكنا، لو لم يشعر العلماء المصلحون- بكل أسف- بمركب النقص إزاء قادة السياسة في ذلك العهد ، فمالؤوهم وسايروهم، ظنا منهم أنهم سوف

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 27.

يذودون عنهم نواب الحكومة، ولقد كان ذلك ممكناً لو لم يكونوا على استعداد للعودة إلى فكرة الزوايا ذات الطابع السياسي، والأصنام المزوقة بأسماء جديدة¹. فلقد كان على الحركة الإصلاحية أن تبقى متعالية على أحوال السياسة والمعامع الانتخابية.

ونستنتج من أفكار مالك بن نبي أنه إن لم يكن للإنسان هدف يعيش لأجله ويحارب لأجلها فسوف يتم هدر حقوقه من أجل تحقيق أهداف أيولوجية. كما أن التغيير يبدأ من ذات الفرد، وليس كما يظنه الكسالى عن طريق الآخر، فقد كانوا ينتظروننا معجزة شيخ الزاوية بإحداث معجزة للتغيير، أو السياسي الذي انتخبوه أن يغير واقعهم من خلال إعطائه الوكالة الكلية عن طريق صناديق الانتخابات للدفاع عن حقوقهم. وأن الإصلاحيين يكون لهم الدور الفعال في حركة التاريخ ونشوء المجتمع، ما داموا متمسكين بالفكرة ومدفعين عنها فهم من يحملون آمال وأحلام بقية أفراد المجتمع. ويمكننا أن نخلص إلى أن هناك علاقة جدلية بين الأفكار والواقع الاجتماعي والسياسة في كافة مراحل التاريخ.

3- فكرة التوجيه:

ويعرفه مالك بن نبي: "فهو قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف... فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت... والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل، المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية، المناسبة لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك، يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان، الذي تحركه دفعة دينية، وبلغة الاجتماع: الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى (الجماعة) ومعنى (الكفاح)². فهو يرى أن التوجيه مشروع تربوي متكامل ومستمر يقوم وفق لأهداف وغايات تصبو لتحقيق الانسجام وتكامل المجتمع.

وترى الباحثة أن في حالة التوجيه التربوي للفرد، فإن من المهم ترصد الفرصة لهذا التوجيه، وعلى الفرد أن يختار الطريقة والأسلوب والابتعاد عن الكلمات البذيئة

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 31.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 84.

والمؤذية، فالمربي إذا أحب طلبته واحترمهم وعاملهم على أساس أنهم أبناؤه وإخوته وحرص على تعليمهم وإرشادهم ومساعدتهم فيما يصادفونه من مشكلات، وكان لهم في كل ذلك نموذجا يقتدون به، فإنهم يستجيبون له ويحترمونه. لأن الطفل والفرد المسلم عموما جبل على الشعور بالكرامة والاعتزاز بالذات، وإن من التربية الحفاظ على هذا الشعور.

4- النهضة:

حين نتحدث عن النهضة، يلزمنا أن نتصورها من ناحيتين:

- تلك التي تتصل بالماضي، أي بخلاصة التدهور، وتشعبها في الأنفس والأشياء.

- تلك التي تتصل بخمائر المصير، وجذور المستقبل.

هذا التمييز الضروري ليس موضوعه مظهر الترف العقلي لطائفة من الناس من نوع " الباشوات "، ولكن موضوعه تكييف حالة شعب بأكمله، وتقدير مصيره، بما في ذلك حالة السائل، ما دام السؤال موجودا في النظام الاجتماعي¹.

وإنه يجب بادئ الأمر تصفية عاداتنا وتقاليدنا، وإطارنا الخلقي والاجتماعي. مما فيه من عوامل قتالة، ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة.

"وإن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد، يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد، هو وضع النهضة. ونخلص من ذلك إلى ضرورة تحديد الأوضاع بطريقتين:

الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.

والثانية: إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل².

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 86.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 86.

بمعنى أن يدخل المسلمين للعالم التكنولوجي الجديد بكافة مستجداته، ولكن وفق للقرآن والسنة. فالمسلم الآن يتكلم وهو يضع ثلاثة عشر قرن وراءه، بل لابد أن يضعهم أمامه ويدخل للعالم الجديد وهذا الفعل الصحيح الانفتاح بحذر، فالتجديد (النهضة) يعني لا جمود في ظل القديم ولا الذوبان الكلي في الآخر. فمثلا هناك بعض الثقافات العربية المسلمة التي تركز بشكل كبير على التماثل، حيث يطلب من الأبناء أن يكونوا نسخ طبق الأصل من الكبار في كل شيء، حتى في الأمور السيئة، بحجة المحافظة على العادات والتقاليد، هذا مما يصيب الأولاد أحيانا في بالشخصية المزدوجة، الشيء الذي يضعف روح المبادرة لذا الفرد.

كما أن ترك الأبناء في حرية متزايدة أفسدهم، وأنشئ جيل أناني، وظهرت أشكال من الانحراف. فالباحثة تعتقد أن على الصنف الأول أن يتقدموا خطوة إلى الأمام وتركيز على جوهر الأمور، وعلى الصنف الثاني أن يرجعوا خطوة إلى الوراء نحو توجيه الأبناء، وإرشادهم لما يقوى نسيجهم الاجتماعي.

* خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق أمكن التعرف على بعض المحطات في حياة مالك بن نبي كتأثير جدته زليخة التي ساعدت بفضل قصصها على تكوين مالك من الجانب الروحي بكافة القيم الأخلاقية والاجتماعية. وكذا دور الأم ذات الشخصية الكاريزمية الواعية لدورها في الحياة الأسرية الخاصة بها، وأب مثقف مطلع على مجريات ما حوله. كانا بمثابة عاملين فتح أمام مالك فرص النجاة من براثن الجهل.

تأثر بالقراءات الغربية من حيث المنهج العلمي وطرق التحليل والنقد، وليس بما تحتويه من أفكار. تأثر أيضا في تكوينه الفكري والثقافي والعلمي بكتابات ودراسات رواد التجديد العرب والنهضة قبله. لقد استطاع مالك بن نبي تكوين رصيدا أدبيا من خلال القراءات الواسعة وكذا التكوين المدرسي المزدوج، كما أنضجت مجالس النقاشات في المقاهي الثقافية. وكما يرجع اهتمامه بالعلوم الاجتماعية والإنسانية إلى أستاذه وملهمه "حمودة بن الساعي" الذي - حسب رأيه - جعله خبيرا في شؤون المجتمعات الإسلامية.

ومن الأمور التي تسترعي الإنتباه في عملية التحليل أن قضية تحديد المصطلحات أخذت من مالك بن نبي عناية كبيرة، ومساحة لا بأس بها في كتابيه، ذلك أن ترميم بعض المفاهيم والأفكار من خلال القراءة السطحية أمر غير كافي. لذا حاولنا في هذا الفصل تحديد بعض المفاهيم التربوية في فكر مالك بن نبي (المفهوم التربوية ومفهوم التخطيط) وكذا ضبط المفاهيم المتعلقة بالتربية: الثقافة بوصفها البرنامج التربوي، التغيير الاجتماعي بصفه يمثل الجانب الدينامي في التربية، التوجيه وهي التعديلات والاستراتيجيات المتبعة لإنجاح العمل التربوي ، وفي الأخير تعرضنا لمفهوم النهضة وهو الهدف من التربية.

الفصل الثالث

المقاربة السوسيو تربوية في فكر مالك بن نبي

***تمهيد**

أولاً: القضايا التربوية المتعلقة النظام الاجتماعي

ثانياً: القضايا التربوية المتعلقة النظام الأخلاقي

ثالثاً: القضايا التربوية المتعلقة النظام الثقافي

رابعاً: المشكلات السوسيو تربوية

***تمهيد:**

عندما يواجه أي مجتمع مشكلات تمس بنيته الاجتماعية فإن السياق التربوي أو الاجتماعي الذي يكون فيه أفراداه عليه جزء كبير من علة هذه المشكلات. لذا رأت الباحثة أن تتطرق في هذا الفصل للمواضيع والمشكلات التربوية والتي لها علاقة بالنظم: الاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية التي لها علاقة بالتربية، والتي تم ذكرها تحديدا في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

بداية بتوضيح، بتعريف المجتمع وأنواعه و آليات بناءه و تطويره وطريقة الحفاظ عليه وكذا الكشف عن كيفية تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية من خلال التربية وتوضيح محورية الأخلاق في البناء الحضاري، وكذلك سنتعرض لعناصر النهضة والبرنامج التربوي للثقافة والذي يشارك في نمو المجتمع أو تراجعها من بعيد أو قريب، وأهم المشكلات الأخرى التي تتعلق بالإنسان.

أولاً: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي

1- تحديد مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي:

وتقصد الباحثة بالمجتمع البيئة الاجتماعية للتربية التي يعيش في ظلها أفراد المجتمع، (وتشمل المؤسسات الاجتماعية المختلفة، والجماعات، والتجمعات، والهيئات والمشاريع المختلفة التابعة لها).

1-1- تعريف المجتمع:

المجتمع مبني على الأفراد ، فكل فرد من أفراد المجتمع يشكل عاملاً من عوامل بنائه، وهذا يوضح الفطرة السليمة نحو الاجتماع والعيش في جماعة، ضمن مصالح مشتركة ومتبادلة. فلا بد من شيء يجمع الأفراد، لا بد من فكر يجمعهم، لا بد من قيم تجمعهم، لا بد من مبادئ تجمعهم.

حيث يصف مالك هذا بقوله: " ففي مستوى حشرة بسيطة كالنحلة نرى أن الحياة الاجتماعية ضرورة لكيان الفرد فهو يلقى بنفسه إلى التهلكة إذا انفصل عنها، الإنسان شأنه في هذا شأن النحلة، إنه لا يستطيع أن ينعزل عن المجتمع ويحاول بجهد الخاص، إذا مصيره من غير شك إلى الموت"¹.

وقد ابتعد مالك بن نبي عن التعريف الاصطلاحي الأدبي المتعارف عليه وهو أن المجتمع: "تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة"². ويرى مالك أن هذا التعريف عبارة عن "تحديد خارجي وصفي، لا يعطي أدنى تفسير (للوظيفة) التاريخية التي تتأط بتجمع من هذا القبيل"³.

وإذا أردنا تحديد مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي نجده فنجده قد ربطه بعاملين يراهما مهمين هما: الحركة الزمنية (التغيير) والوظيفة التاريخية. "فإن كل جماعة لا

¹ مالك بن نبي، تأملات، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص155.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 15.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه.

تتطور، ولا يعترئها تغيير في حدود الزمن، تخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة مجتمع¹.

ويقول أيضا: " فلكي نعطي لموضوعنا تعريفا منطقيا، ينبغي أن نربطه بمعامل الزمن، ربطا نحدد معه لهذا المعامل دلالاته النفسية والاجتماعية. ومن هذا الوجه يصبح المجتمع هو: الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير"².

وقد رد بن نبي عدم فهمنا لمفهوم المجتمع من ناحية وظيفته التاريخية لنقطة أساسية،" إننا لم ندقق في مصطلحات علم الاجتماع، ففهمنا أن المجتمع ربما هو عبارة عن عدد من الأفراد يعيشون كما يشاؤون مهما كانت الصلات بينهم، ليس هذا هو المجتمع، هذا يمكن أن نسميه بقايا مجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحة الفرد...فهو ليس عددا من الأفراد وإنما هو شيء خاص، هو بنيان وليس بتكديس لأفراد بنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها"³.

ومن خلال هذا التحديد للوظيفة الاجتماعية للمجتمع من خلال الحركة التاريخية هذه الوظيفة التي تلزم المجتمع على تقديم الضمانات الاجتماعية لأفراده وذلك ضمن نظام معين ذو طابع إنساني، تحدد فيه الحقوق والواجبات، وعلى هذا المجتمع توفير لأفراده أشكال الحياة الراقية، والأمن، والاستقرار، بمعنى آخر أن يسطر لأفراده أهم الأسس الأخلاقية والروحية، التي تساعد على الحركة والنمو.

1-2- أنواع المجتمع:

إن أنواع المجتمعات تختلف حسب المعيار الذي إعتد عليه في عملية التقسيم وقد إعتد مالك بن نبي في تقسيمه للمجتمعات الإنسانية على إختلاف وظيفة المجتمع التاريخية، وعلى مدى مساهمته في عملية التغيير(الحركة التاريخية).

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 16.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 17.

³ مالك بن نبي، تأملات ، المرجع السابق، ص 155.

قبل أن يحدد مالك بن نبي مفهوم يشير: " أولاً الفرق الجوهرى بين (المجتمع الطبيعى) أو البدائى، وهو الذى لم يعدل، بطريقة محسنة، المعالم التى تجدد شخصيته منذ كان، وبين المجتمع التاريخى الذى ولد فى ظروف أولية معينة؛ ولكنه عدل من بعد صفاته الجذرية ابتداء من هذه الحالة الأولية، طبقا لقانون تطوره"¹.

بمعنى أن المجتمع الطبيعى تجمع رابطة اقتصادية الاجتماعية هى رابطة الدم وقد كانت له ثقافة أولية تقتصر على إقامة النسل، وعلى السعى وراء الرزق، وهتان الصفتان ينتج عنهما نظام اجتماعى بسيط. أما المجتمع التاريخى (المتحضر) تتميز رابطة الاقتصادية الاجتماعية بأنها مستمدة من حاجات الأفراد الحيوية للتحضر والرقى بغض النظر عن الدم ونوع السلالة.

والمجتمع التاريخى يمكن أن ينشئ بطريقتين: أن يتركب ابتداء من مواد جديدة أي مواد لم تتعرض لأي تغيير تاريخى سابق. وقد يتكون أيضا من عناصر استخدمت فى مجتمع تاريخى سابق، تحولت عناصره المكونة له إلى عناصر مهيأة للاستخدام فى مجتمع جديد.

و يرى مالك بن نبي أن هناك نوعان من المجتمع التاريخى:

أ- المجتمع التاريخى الذى يولد، فىكون ميلاده إجابة عن اختيار مفروض تفرضه الظروف الطبيعية الخاصة بالوسط الذى يولد فيه . النموذج الجغرافى : المجتمع الأمريكى.

ب- المجتمع الذى يرى النور تلبية لنداء فكرة. المجتمع الفكرى (الإيديولوجى): المجتمع الإسلامى.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 09.

وقد قسم مالك أيضا المجتمعات من ناحية البناء (الشكل) إلى نوعين:

- المجتمعات التي يقوم بناؤها على طوابق كثيرة.
- المجتمعات التي يقوم بناؤها ذي الحجر الواحد أو الطابق الواحد. مثل: المجتمع الإسلامي والذي ركز عليه مالك بن نبي في جل كل كتاباته، باعتباره النموذج الذي يعكس المفهوم النموذجي للمجتمع.

ليخلص مالك بن نبي لضبط مفهوم المجتمع بشكل دقيق -بصفته الوسط التربوي الذي ينشأ فيه الإنسان- فالمجتمع: -أيًا كان نمودجه التاريخي أو التشكيلي- ليس مجرد جمع لعناصر، أو أشخاص، تدعوهم غريزة الجماعة إلى أن يتكتلوا في إطار اجتماعي معين... إذا يضم المجتمع ما هو أكثر من مجرد مجموعة من الأفراد الذين يؤلفون صورته، يضم عددا من الثوابت التي يدين لها بدوامه، وبتحديد شخصيته في صورة مستقلة تقريبا عن أفراد¹.

لقد وضع مالك بن نبي عدة تعريفات وتصورات حول المجتمع من ناحية الوجهة التاريخية وكذا أصول الكيان الاجتماعي، ومن الوجهة التشكيلية التي تتصل ببنائه، ليصل بتعريفه للمجتمع من الوجهة الوظيفية التاريخية. حيث قدم عدد من الأمثلة في كتابه ميلاد مجتمع، والتي خلص من خلالها، أن على رغم من اختلاف تلك المجتمعات في تراكيبها الشكلية وسياقاتها التاريخية تتمحور كلها حول عدد من الخصائص المشتركة:

- يضم المجتمع ما هو أكثر من مجرد مجموعة من الأفراد الذين يؤلفون صورته يضم عددا من الثوابت التي يدين لها بدوامه، وبتحديد شخصيته في صورة مستقلة تقريبا عن أفراد.
- قد يحدث في بعض الظروف التاريخية أن يفقد مجتمع ما شخصيته ويمحى من التاريخ، ومع ذلك فإن عدد أفراد لا يتغير في هذه الحالة، بل يحتفظ كل فرد بغريزة العيش في جماعة.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 13.

- المجتمع يحمل في داخله الصفات الذاتية التي تضمن إستمراره، وتحفظ شخصيته ودوره عبر التاريخ. وهذا العنصر الثابت هو المضمون الجوهرى للكيان الاجتماعى.
- المضمون الجوهرى للمجتمع هو الذى يحدد عمر المجتمع، واستقراره عبر الزمن ويتيح له أن يواجه ظروف تاريخه جميعا.

2- التربية الاجتماعية:

2-1- التعريف:

التنشئة الاجتماعية أو كما أطلق عليها مالك بن نبي التربية الاجتماعية، هي عبارة عن عملية التطبيع الاجتماعى القائمة على تعليم الفرد وتحويله من كائن بيولوجى وعضوى إلى كائن ثقافى واجتماعى، ومن أهم آلياتها التفاعل الاجتماعى، وتحتوى التربية الاجتماعية على مجموعة من القيم والمعايير والمثل التى تساعد الفرد على التكيف النسبى مع المجتمع، والاندماج مع بقية الأفراد ليكون معهم شبكة علاقاته.

ويعرفها مالك بن نبي على أنها " وسيلة فعالة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التى تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائماً، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التى تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك فى التاريخ"¹.

إن التربية الاجتماعية تهدف إلى بناء إنسان مندمج متكيف، فالفرد لا يكتسب صفة الإنسانية بفعل العوامل الوراثية لوحدها، إنما يكتسبها بفضل التنشئة الاجتماعية بكافة أبعادها الدينية والتربوية والحضارية والثقافية والتاريخية.

يخلص مالك بن نبي أن كل فكرة عن التربية الاجتماعية يجب أن تصدر من: " إنه لكي يمكن التأثير فى أسلوب الحياة فى مجتمع ما، وفى سلوك نموذج الذى يتكون منه

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 100.

وبعبارة أخرى: لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية، في مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع.. وهكذا نرى أن كل ما يغير النفس يغير المجتمع"¹.

إن تركيز مالك بن نبي على التربية الاجتماعية " لا يعني أنها تربية تضحى بالفرد في سبيل المجتمع، مثلما هو الشأن مع النظريتين الماركسية والدوركايمية، إن هذا الاهتمام، الزائد نسبياً، بالجانب الاجتماعي ما هو إلا تعبير عن أسبقية نسبية وليست مطلقة للتربية الاجتماعية وهي أسبقية استراتيجية يبررها الظرف التاريخي للمجتمع المسلم المتخلف"². بمعنى أن التربية الاجتماعية قامت لأجل مصلحة الفرد والمجتمع معا.

فالباحثة ترى أن التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي لا تكون على حساب الفرد بل هي تقوم على التكامل بين مصالح الفرد والمجتمع، فهي تعمل على إكساب الفرد الأدوار والمراكز الاجتماعية وثقافة المجتمع أكثر من المعارف والمعلومات وذلك عن طريق توفير الظروف النفسية للفرد التي تهيئه لكي يتقبل القيم الاجتماعية السائدة.

2-2 - أسس التربية الاجتماعية:

"إذا قلنا إن هناك تربية اجتماعية فإن قواعدها العامة ينبغي أن تستقى من علم التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس. مع تركيز على جانب التاريخ كأكبر مؤثر بالمنهج الذي إتبعه مالك بن نبي حتى الآن يرجع بالتحديد إلى التاريخ، وذلك لكي يستخرج تلك القواعد في صورتها النظرية والواقعية معا"³.

يرجع مالك أسس التربية الاجتماعية لثلاث أسس أساسية هي: البعد التاريخي والاجتماعي، والنفسي. فهو يرى أن أهمها هو البعد التاريخي ؛ فهذا الأخير يساعد العملية التربوية على التخطيط الجيد وفقاً لما ورثته الأمة من ماضي وما أعدته للحاضر وكيف

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 72.

² محمد بغداد باي، محاضرات عن مالك بن نبي التربية في مشروع مالك بن نبي الحضاري مفهومها ومميزاتها، مقال على موقع مالك بن نبي، <http://www.binnabi.net/infos/detail>، بتاريخ: 25/أفريل/2017، الساعة: 16:22.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 75.

تخطط للإنطلاق إلى المستقبل، وأيضاً يساعدها على فهم المشكلات التربوية المختلفة في ضوء معالجة المشكلات التي مرت على البشرية في مراحل تطورها، وتجنب أخطاء من سبقوهم.

وتتضح صلة التربية بالأسس النفسية فيما لو نظرنا إلى التربية على أنها عملية تهتم بمعرفة خبايا الذات الإنسانية المتكونة من مجموعة مشاعر ورغبات وميول، تتغير مع مراحل نمو الإنسان لذا لابد من تفهم حاجيات ومشاكل الفرد حتى نتمكن من تعديل سلوكه و إدخال الجديد عليه، ولا يتم لها ذلك إلا عن طريق تحليل الذات الإنسانية وفقاً لنظريات وآليات علم النفس.

أما عن ضرورة التركيز عن الأساس الاجتماعي للتربية فهو الذي من خلاله يمكننا التعرف على مقومات النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات، وفي ضوءها تحدد فلسفة التربية التي بدورها تحدد محتوى الثقافة الاجتماعية للأفراد، كما أن التربية هي بالدرجة الأولى مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي تعمل كلها في إطار متسق لبلوغ الأهداف الاجتماعية المرغوب في تحقيقها، والمتمثلة في تكوين فرد صالح لنفسه وأسرته ومجتمعه.

وقد خلصت الباحثة إلى أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم اجتماعي عبر مجموعة من الأدوار والمواقف تختلف من بيئة إلى أخرى، ويعني هذا أن التنشئة الاجتماعية تتباين بين مجتمعين مختلفين، أو داخل مجتمع واحد.

2-3- الشروط الأولية للتربية الاجتماعية:

إن المهمة الأساسية للتربية الاجتماعية هي تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وإستدخال ثقافة المجتمع في بناء شخصيته، وثمة مجموعة من العوامل التي تتحكم في العملية الاجتماعية. الأمر الذي جعل مالك بن نبي يضع لها إطار يحوى مجموعة شروط حتى تتجح في تحقيق الأهداف التي قامت لأجلها.

■ بناء براديعم تربوي:

وضع مالك بن نبي الضوابط العامة والضرورية لأي محاولة لاستعارة خبرة أجنبية في أي مجالات النشاط البشري. وينبه أيضا إلى أهمية إيجاد البيئة والشروط النفسية الضامنة لسلامة النقل وإلا لا داعي لذلك لأن هذه الاستعارة ستتحول إلى ضرر.

" فلكي نواجه بطريقة فنية أية مشكلة اجتماعية، ينبغي ألا يقتصر عملنا على افتراض الحلول التي تأكدت صحتها خارج بلادنا، إذ أن الصيغة المقتبسة صحيحة بلا أدق شك، ولكن في إطارها الاجتماعي، في محيطها الذي تخلقت فيه، في نفحة (الروح) التي تخيلتها"¹.

أراد مالك من خلال فكرته أن يوضح لنا ضرورة وجود براديعم تربوي عربي ويعني هذا أن التربية بصفة عامة، تتغير بتغير البراديعمات والنماذج الاجتماعية العلمية ممارسة ووظيفة. بمعنى أن التغير الذي يحصل على المستوى التربوي يتحقق في ظل تغير النظريات والمناهج والافتراضات العلمية التي تظهر من حين لآخر في العالم الأوربي، لذا يؤكد مالك بن نبي كشرط أساسي على ضرورة وجود نموذج، براديعم عربي تحل من خلاله المشاكل التربوية الخاصة بمجتمعاتنا العربية؛ أي ينبغي أن نهى بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصور من حلول لمشكلاتنا الاجتماعية. ويرفض مالك بن نبي التقليد الأعمى، والإتكال على الآخرين، واستيراد كل ما هو جاهز، واستبدال ذلك كله بالتخطيط الحكيم، وإنتاج الأفكار والنظريات الناجعة والمثمرة.

■ ضرورة وجود الإرادة والنشاط الاجتماعي:

يرى مالك بن نبي " ضرورة تحقيق هذا الهدف التربوي من أجل تطبيع الإنسان المسلم على الفعالية. فما ينقص الإنسان المسلم اليوم هو أن أفكاره لا تتحول إلى إنجازات وإلى واقع ملموس، وذلك بغياب الإرادة والتركيز (الإنباه)، اللذان يعدان من صميم العقل

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص، 103.

التطبيقي¹. ويتعلق هذا الشرط بالجوانب الشعورية والذاتية والإنفعالية والعاطفية التي تحفز الفرد على التعلم والتجديد والتميز معرفيا وعلميا وأدبيا وفنيا وتقنيا واجتماعيا، الأمر الذي يجعل منه ناقل أمين ومستقبل فعالا لثقافة المجتمع، فتسهل بذلك عملية تطبيعه الاجتماعي.

كذلك لابد من وجود نظام اجتماعي يضع ضوابط وقوانين اجتماعية، تضطر جميع أفرادها إلى تنظيم أعمالهم وسلوكياتهم على أساسه، وبناء حياتهم الجماعية على أساس ذلك النظام. خاصة القانون الأخلاقي منها، لأنها بحاجة إلى الأخلاق أكثر؛ لأن الأخلاق تعطي الحياة طابعا إنسانيا، وترفع من مستوى العلاقات الاجتماعية، وتساعد الإنسان على اقتحام العقبات، وتجعله حريصا على حقوق الآخرين ورعاية مصالحهم وتشجذ الفعالية الاجتماعية في الأفراد.

وترى الباحثة أن من الأمثلة التربوية التي تساعد الفرد على التطبيع الاجتماعي وتزيد من تنمية الحس الجمعي لديه تتمثل في: تشجيع تبادل الزيارات بين التلاميذ، إشراك التلاميذ في الحفلات المدرسية التي تقام حسب المناسبات التربوية والدينية والوطنية والعالمية. مساعدة التلاميذ على ممارسة الرياضة المدرسية بكل أنواعها وتراعي بيئاتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية، تشجيعهم على الإهتمام بالبيئة التي تحيط بنا، وتحفيزهم على حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وهكذا...

2-4- أهداف التربية الاجتماعية:

■ الإدماج:

تناول مالك بن نبي هذا المصطلح من وجهة نظر تربوية من الجانب الاجتماعي تتعلق بقضية إدماج الفرد ككائن بدائي خام في المجتمع من أجل تأهيله للمساهمة في إنجاز مشروع بناء المجتمع التاريخي المتحضر.

¹ محمد بغداد باي، التربية والحضارة، المرجع السابق، 2007، ص159.

ويري مالك بن نبي " أن الهدف الأساسي لعملية الإدماج ينبغي أن ينحصر في تأهيل الفرد لفن الحياة مع الغير من أجل التعاون على إنجاز الوظيفة التاريخية المشتركة. كما يرى أيضا أن إدماج الفرد في المجتمع بشكل ناجح يتجلى في انسجامة الكلي مع عناصر شبكة العلاقات الاجتماعية وتفاعله معهم. "كما تتجلى في كون الطاقة الحيوية قد تم تكييفها وفقا لمقتضيات الفكرة الدينية. وفي مثل هذه الحالات تكون الطاقة الحيوية للفرد قد أصبحت في أقصى درجات فعاليتها الاجتماعية"¹.

لينتهي مالك بن نبي إلى أن " الطاقة الحيوية قد تهدم المجتمع، ما لم تكن خاضعة لنظام دقيق تمليه فكرة عليا، تعيد تنظيم هذه الطاقة، وتعيد توجيهها فتحولها من طاقة ذات وظائف بيولوجية خالصة في المقام الأول - حيث تشترك في حفظ النوع- إلى طاقة ذات وظائف اجتماعية يؤديها الإنسان، حين يسهم في النشاط المشترك لمجتمع ما. فالمشكلة التي نواجهها هنا إذن ذات جانبين: جانب اجتماعي وجانب نفسي"².

فالفرد والمجتمع- في الظروف العادية- يعملان في الاتجاه نفسه، فإن هناك تبادلا بين أفعال الفرد والعلاقة الاجتماعية. وبفضل هذا التبادل ينبغي أن نتوقع تدخل نظام أخلاقي للقيام بعملية الضبط الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

"إذ يجد الفرد نفسه متخليا عن عدد من الإنعكاسات المنافية للنزعة الاجتماعية ليكسب مكانها أخرى أكثر توافقا مع الحياة الاجتماعية. وذلك هو تكييف الفرد: فهو عملية تنحية تجعل الفرد لا يعبأ ببعض المثيرات ذات الطابع البدائي... وهو عملية انتقاء أو إحساس، تجعل الفرد قابلا لمثيرات ذات طابع أكثر سمواً، طابع أخلاقي أو جمالي مثلاً"³.

ويمكننا القول أن الإدماج من الجانب الاجتماعي يعني مجموعة التدابير التي يتبناها المجتمع والجماعة لقبول عضو جديد في صفوفه وتسهيل عملية القبول. وعليه فالاندماج يجب أن يكون شاملا متكاملا، ولا يمكن أن ينجح في مستوى معين ويفشل في

¹ عمر نقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي- نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الاسلامي المعاصر- الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2009، ص 84.

² مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 107.

³ مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 67.

مستوى آخر، ولا يمكن تأمين تربية للجميع وعدم تأمين عمل لا يمكن تأمين عمل دون آلية للتربى الاجتماعي.

■ التكيف والإشراط:

لقد اقتبس مالك بن نبي مصطلحي التكيف والإشراط من أعمال العالم الروسي بافلوف*، حيث حاول إضفاء بعد اجتماعي على المصطلحين، بأن وضح لنا كيفية تطبيقهما في مجال التربية الاجتماعية للفرد.

التكيف عملية فردية ذاتية وتعتبر مرحلة من مراحل الاندماج الاجتماعي تتضمن نشاط الأفراد أو الجماعات وسلوكهم الذي يرمي إلى الملائمة والانسجام بين الفرد والفرد أو بين جماعة أفراد وبيئتهم أو بين الجماعات المختلفة ومن الضروري أن يتكيف الأفراد لما يسود مجتمعهم من عادات وأذواق وآراء واتجاهات حتى تسير جوانب الحياة الاجتماعية في توافق تام. وهو آليات لانخراط الفرد داخل الجماعة والمشاركة في قيمتها آراءها ومواقفها.

" نقل الأنماط السلوكية للفرد من المجتمع؛ ونقل التراث الثقافي من الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة؛ وتعديل التراث الثقافي، وتغيير مكوناته بإضافة ما يفيد وحذف ما لا يفيد؛ واكتساب الفرد خبرات اجتماعية نابعة من قيم ومعتقدات ونظم وعادات وتقاليده وسلوك الجماعة التي يعيش بينها؛ وتزويد الفرد بالمعلومات الحديثة التي تغزو الحياة اليومية في المجتمع"¹.

إن أفراد المجتمع عادة ما ينفرون من التغيير ويخافون منه؛ لأنهم لا يعرفون ما وراءه، إلا أن هذا الموقف السلبي في حد ذاته يحتاج إلى تعديل إذا أردنا لنوعية الحياة أن تتحسن، فبدل أن يرفض التغيير نحاول أن نوجهه ونحكم فيه، وهذا يحتاج إلى تعاون

¹ إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت، لبنان؛ مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، د.ت، ص32.

* إيفان بتروفيتش بافلوف — هو عالم وظائف أعضاء روسي، لأبحاثه المتعلقة بالجهاز الهضمي، ومن أشهر أعماله نظرية الاستجابة الشرطية التي تفسر بها التعلم. (14 سبتمبر 1849 - 27 فبراير 1936).

الجميع من أجل الجميع، فالتربية هي المسؤولة عن إيجاد هذ التكيف الموجه، لأننا لا نقصد بالتكيف التنازل عن المبادي أو الذوبان الكلي في الحضارة الحديثة.

3- شبكة العلاقات الاجتماعية:

إن القضية المحورية التي شغلت الكثير من الباحثين في الدراسات التربوية المعاصرة هي مشكلة كيفية تكوين شبكة علاقات اجتماعية سليمة. حيث اعتبر الباحثون التربية وسيلة لتنمية هذه الشبكة؛ فمن خلال التربية يدرك الفرد كيفية القيام بأدواره الاجتماعية وبالتالي إقامة علاقات جيدة وسليمة، يتم هذا من خلال معرفة الأدوار والمراكز والمعايير الاجتماعية التي تساعد الفرد ليندمج في البناء الاجتماعي العام ويساهم في تطوره واستمراره، فالتربية هي التي تنتج العلاقات الاجتماعية، وتشكل الوعي الاجتماعي والثقافي.

إن القدرة على تحديد أسباب مشكلة تحلل العلاقات الاجتماعية وقدرة الافراد على التصدي لها أمر يحتاج منا لوعي وفهم؛ لأن هناك علاقة بين فهم المشكلة والوعي بها وهذا ما توفره لنا التربية.

3-1- مراحل نمو شبكة العلاقات الاجتماعية:

إن لشبكة العلاقات الاجتماعية أهمية كبرى في تحليل آليات بناء المجتمع التاريخي بإعتبارها "أول عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات. وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده... فالاجتماع الذي يتمثل فيه أول عمل يؤديه مجتمع إبان ميلاده يترجم ترجمة صادقة وقوية عن شبكة علاقاته"¹.

"إن (عمل) المجتمع ليس مجرد اتفاق (عفوي) بين الأشخاص والأفكار والأشياء بل هو تركيب هذه العوالم الاجتماعية الثلاثة، التركيب الذي يحقق معه ناتج هذا التركيب

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 31.

في اتجاهه وفي مداه (تغيير) وجوه الحياة، أو بمعنى أصح: تطور هذا المجتمع... فإن التاريخ إنما يبدأ في الواقع قبل أن تتكون هذه العوالم¹.

فالعلاقات الاجتماعية حسب رأي مالك بن نبي هي التي تشكل تلك الشبكة التي لها الأثر الكبير في نشأة المجتمعات، والتي تساهم في الحركة الدورية في التاريخ؛ لذلك فهي ليست مجرد أثر ناتج عن إضافة أشخاص وأفكار وأشياء إلى مجتمع معين.

• المرحلة الميلاد (الروحية):

"يمكن أن نفسر بطريقتين، تفسر أولاً بلغة علم الاجتماع حين نقول: إنها تتفق مع شبكة العلاقات الاجتماعية حين تكون في أكثر حالاتها، لا في أكثرها امتداداً، هذه الكثافة هي ما توحى به عبارة (البنيان المرصوص)، ويمكننا أيضاً أن نفسر هذه المرحلة بلغة علم النفس حين نقول: إنها تتفق مع المرحلة التي يكون الفرد خلالها في أحسن ظروفه أعني الظروف التي يكون فيها نظام أفعاله المنعكسة في أقصى فاعليته الاجتماعية وتكون طاقته الحيوية أيضاً في أتم حالات تنظيمها"².

هذا هو العصر الذهني بالنسبة لأي مجتمع، لأنه يتمتع بميزتين: فقواه جميعاً في حركة، وهذه الحركة دائمة صاعدة، وهذه هي المرحلة الديناميكية التي يدان فيها كل اتجاه نحو التقاعس أو السكون.

• مرحلة تزعزع العلاقات:

"فإن المجتمع يتمتع بشبكة علاقاته الاجتماعية، حين تكون في أكثر حالاتها سعة وامتداداً ولكن حين تكون أيضاً بعض الشوائب قد طفت على وجهه، وبعض النقائص وفي هذه المرحلة يواصل المجتمع نموه بفضل السرعة المكتسبة، ولكن قواه لا تكون جميعها في نطاق الحركة، وما كان منها في حركة قد لا يكون على الطريق الصاعدة: فهناك جانب من الطاقة مضى إلى السكون، ومضى جانب آخر إلى الهاوية. فمجموع من

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 27.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 76.

الطاقات لم يعد يعمل، ومجموع آخر يعمل في اتجاه مضاد، وبعبارة أصح: ضد المثل الأعلى للمجتمع"¹.

• مرحلة النكوص (تضخم الأنا):

"تسود الفردية تبعا لتحرر الغرائز، وتتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية نهائيا: وهو ما يطلق عليه في التاريخ عصر الانحطاط، كذلك العصر الذي هيا في المجتمع الإسلامي ظروف القابلية للاستعمار والاستعمار"².

3-2- الثروة الاجتماعية:

لقد أصبح العمل الجماعي مطلبا حضاريا ومعاصرا للتغلب على مشكلات العمل الفردي، وتجنب الكثير من سلبياته وترشيد القرار، ولكن هذا المطلب الحضاري المعاصر يستلزم تهيئة وإعداد من الناحيتين الفكرية والعملية والتدريبية على السواء، ونقصد بالإعداد الفكري، تكوين المعرفة اللازمة عن العمل الجماعي، قاعدة المعرفة المولدة للإيمان به كمنهج سلوكي عملي وتوفير القناعة الكاملة.

"لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من (أشياء)، بل بمقدار ما فيه من أفكار"³.
" ففاعلية (الأفكار) تخضع إذن لشبكة العلاقات، فإذا كانت ثروة مجتمع معين يتوقف تقديرها على كمية أفكاره من ناحية، فإنها مرتبطة بأهمية شبكة علاقاته من ناحية أخرى"⁴.

العمل بروح الفريق الواحد، يمثل حاصل مؤكد لمجموعة قيم الخير التي تزرع في شخصية الفرد، وهكذا يستدعي البناء المجتمعي تحركا متواصلا ومبرمجا، لبناء الشخصية السليمة منذ ولادتها، عبر الحرص والعمل المنظم لزرع قيم الخير، في شخصية الإنسان منذ بدايات النشأة والنمو، لأنها ستتمو مع الإنسان وتكبر معه، وتصبح جزءا لا

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 77.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص ص 77-78.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 37.

⁴ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 38.

يتجزأ من تكوينه المادي والفكري في وقت واحد، فيحصل المجتمع على فرد منتج ذا شخصية عملية، مستعدة دائما للعمل بمنهج الجماعة والإنخراط معها بعيدا عن الأنانية التي تقتل الموهبة.

3-3 - هشاشة العلاقات الاجتماعية:

لقد انتشرت في الفترة الأخيرة ظاهرة هشاشة العلاقات الاجتماعية مما يدعو إلى البحث في أسباب هذه الظاهرة الجديدة، وهذا ما يحدث حين يتوقف أطراف العملية التربوية عن احترام وتقدير بعضهم البعض؛ فإن ذلك يعني أن العلاقات الاجتماعية تتحول من مصدر للراحة النفسية، والاستقرار الاجتماعي إلى منبع للشر والضرر.

يقول مالك بن نبي في هذا: "عندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك أمانة على أن المجتمع مريض وأنه ماض إلى نهايته. أما إذا تفككت الشبكة نهائيا، فذلك إيذان بهلاك المجتمع"¹.

"فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا، في حالة الصحة يكون تناول المشكلات من أجل علاجها هي، أما في الحالة المرضية فإن تناولها يصبح فرصة لتورم (الذات) وانتفاشها وحينئذ يكون حلها مستحيلا، لا لفقر في الأفكار أو في الأشياء، ولكن لأن شبكة العلاقات لم تعد أمورها تجري على طبيعتها... وعلى هذا، فإذا ما درسنا أمراض مجتمع معين من مختلف جوانبه الاقتصادية والسياسية والفنية .. الخ .. فإننا ندرس في الواقع أمراض (الأنما) في هذا المجتمع، وهي الأمراض التي تتجلى في لا فاعلية شبكته الاجتماعية"².

كما يمكننا ملاحظة سرعة انتهاء العلاقات بين الأفراد؛ لأنها أساسا بنيت على مصلحة ذاتية، ويجدر الإشارة أن الفرد في مثل الحالات لا يكتفي بإنهاء علاقاته مع الآخر بشكل سلمي، بل يسعى إلى تحطيمه بالشكل الذي يجعله يعاني طيلة حياته، أو نشر الأكاذيب عليه ليضر به أو بسمعته أو أسرته، أو الإيقاع به لتوقيف مشواره العلمي أو

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 42.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه.

العملي، أو لإيقاف إنجازاته. مما أكسب الإنسان قلب ذا طبيعة متبلدة في بعض المواقف لا يحرك سكنا سوى أكان في السرة أو الشارع، وحتى المستوى الإنساني، فهو قد تعود مشاهد الظلم والفساد التي تحملها الأنانية الفردية في كافة المؤسسات الاجتماعية فهو يعيش في جو من العلاقات المصلحية، وكنتيجة حتمية الإنسان يألف الجو العام للمجتمع الذي يعيش فيه.

"العلاقة الفاسدة في (عالم الأشخاص) لها نتائجها السريعة في (عالم الأفكار) وفي (عالم الأشياء). والسقوط الاجتماعي الذي يصيب (عالم الأشخاص) يمتد لا محالة إلى الأفكار وإلى الأشياء، في صورة افتقار وفاقة"¹.

الشيء الذي جعل العلاقات الاجتماعية في المجال التربوي خاصة، والاجتماعي عامة، تتحول إلى مجال واسع للصراع بين مختلف شرائحه في كافة القطاعات والمؤسسات مختلفة، وأصبح المصلحة الفردية لها الغلبة أما المصلحة العامة، لنحصل في الأخير على نظام اجتماعي ممزق، وتغلب الأنانية على مختلف التعاملات اليومية بين الأفراد. وتدل الباحثة على ذلك تغلب المصلحة الفردية في جل المؤسسات التربوية يجعل أفرادها ينسون الأهداف التربوية التي قامت عليه هذه المؤسسات سوى أكانت أسرة، أو مدرسة... الخ.

إلا أن الباحثة ترى للخروج من هذا المأزق لأبد من وجود التنشئة السليمة المتزنة، فالتنشئة هي تنويع لتربية الأسرة والشارع والمدرسة والإعلام ؛ وإذا اعتبرنا الأسرة البذرة الأولى في المجتمع الأسرة، وجب على الأب والأم الإطلاع على آخر مستجدات المعرفة والمطالعة المستمرة حول تجارب الآخرين في التربية، واستشارة أصحاب الاختصاص من علم الاجتماع وعلم النفس. حتى يتمكنوا من منح الطفل أساسيات الحس المشترك، بالأسلوب مناسب لكل المراحل يمر بها. فلا تربية بدون عالم الأفكار ولا علاقات اجتماعية سليمة دون تربية صحيحة.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 45.

ثانياً: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي

إن أهمية الدين والفكرة الدينية في حياة الأفراد والمجتمعات كبيرة جداً، حيث كانت الأديان السماوية عبر التاريخ هي العامل الأساسي في قيام المجتمعات وبناء الحضارات، وإننا نتحدث هنا عن مفهوم الدين بمعناه الواسع الذي قد يشمل أية عقيدة أو أيديولوجيا أو مبدأ أخلاقي. وبذلك يمكن اعتبار الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية أديانا جديداً، كونها ترتقي عند أصحابها إلى درجة التقديس وتتفاعل مع وجدانهم وتدفعهم إلى بذل كل جهد لتحقيقها كغاية سامية.

وقد اختلفت نظرة المفكرين لوظيفة الدين فهناك من يرى أنه عامل تخدير وجمود وتخلف، بينما نظر إليه البعض الآخر على أنه يجعلنا ننشئ مجتمعا متماسكا يتعاون فيه جميع الأفراد، ومن خلاله نبني المنظومة الأخلاقية.

أما مالك بن نبي فيرى أنه "سواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي، أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم أو اختفت تماماً من الوجود نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية"¹. بمعنى أن الفكرة الدينية هي مصدر كل حضارة ووقودها وسر استمراريتها فإن فقدت الفكرة الدينية فاعليتها الاجتماعية انتهت الحضارة. ويستشهد مالك بن نبي في كتابيه بصور عديدة من المحيط الأجنبي والإسلامي.

1- تعريف القيمة الخلقية عند مالك بن نبي:

ويعرف مالك بن نبي الروح الدينية قائلاً: "ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق أو عقل أو مبادئ مجردة، وإنما هو بصفة عامة: ذلك الشعور القوي في الإنسان، والذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراتهِ وتبليغهُ لرسالته، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء"².

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 56.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 94.

فقد تصدر المبدأ الأخلاقي مجموعة المبادئ الأساسية التي يقوم عليها البرنامج التربوي للثقافة في المجتمع الإسلامي عند مالك بن نبي، فهو يعتقد أن له وظيفة نفسية اجتماعية وكذا اعتبره عامل تركيب وتأليف بين عوامل وشروط ولوازم البناء الحضاري الأمر الذي جعل مالك بن نبي لا يسقط الفكرة الدينية من جميع مناقشاته وكتاباته.

2- الوظيفة الحضارية للدين:

إن لكل حضارة من الحضارة أسس تقوم عليها، ومن بين هذه الأسس الأساسية التي أشار إليها مالك بن نبي في بناء الحضارة الإسلامية الأساس الديني والأخلاقي.

فهو يرى أن: " الحضارة لا تتبعث إلا بالعقيدة الدينية... فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو هي - على الأقل - تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي"¹. " وأن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية:

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت.

ولا يتم تفاعل العناصر الثلاث إلا بتدخل مركب معين هو الفكرة الدينية، والتي رافقت فعلا تركيب الحضارة عبر التاريخ...، ولكن هذا الناتج الحضاري، لا يتم تلقائيا حيثما توفرت هذه العناصر بل لابد من وجود مركب ما، وهو المركب الحضاري الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، هو: الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ"².

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 56.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 50.

ومن خلال هذه الصيغة يركز مالك بن نبي على الدور الفكرة الدينية الفعال في تركيب عناصر الحضارة، فهو يرى كغيره من المفكرين أن للحضارة دورة كاملة تتكون أساسا من ثلاثة مراحل مثلما هو حال البشر. نذكرها على التوالي:

أ- مرحلة سيادة الروح: (وهي بداية الصعود)

إن الفرد في هذه المرحلة يكون عند نقطة الصفر في الصورة التخطيطية، أي في حالة الفطرة، وحين تجيء الفكرة الدينية تتولى إخضاع غرائزه بـ " عملية شرطية " ليس من شأنها القضاء على غرائزه، ولكنها تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح¹.

تتميز هذه المرحلة بميلاد فكرة سامية أو مثل عال يكون مناصروه في أوج عطاءهم الوجداني والعاطفي، وذلك لما لهم من محفزات نفسية قوية تدفعهم للتضحية والبذل.

ب- مرحلة سيادة العقل: (وهي مرحلة الانتشار والتوسع)

وبعد المرحلة الروحية "يوصل المجتمع تطوره... وتكتمل شبكة روابطه الداخلية... فتنشأ المشاكل المحسوسة لهذا المجتمع الوليد نتيجة توسعه، كما تتولد ضرورات جديدة نتيجة اكتماله... وفي كلا الحالتين فإن المنعطف هو منعطف العقل... حيث تشرع الغرائز في التحرر من قيودها، بالطريقة التي شاهدها في عهد بني أمية، إذ أخذت الروح تفقد نفوذها على الغرائز بالتدريج، وأخذت الغرائز لا تتحرر دفعة واحدة وإنما هي تتطلق بقدر ما تضعف الروح"².

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة الازدهار التي يكون الرجحان فيها للعقل حيث تنمو العلوم وتزدهر الحياة المادية بالعمل والجد والوفرة، وأخيرا تأتي مرحلة الهرم الحضاري

¹ حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة، 1426هـ - 2005 م، ص ص 51-52.

² حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، المرجع السابق، ص 52.

التي تتغلب عليها نزعة الشهوة الجسدية والغرائز الطبيعية، حيث تدخل الأمة مرحلة الاستهلاك المحض لمنجزاتها الحضارية.

ج- مرحلة سيادة الغريزة: (وهي مرحلة الأفول والانهيار)

"وعندما يبلغ التحرر من الروح تمامه... يبدأ طور الغريزة تكشف عن وجهها تماما وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل، يكون قد دخل نهائياً في ليل التاريخ، وبذلك تتم دورة الحضارة فالدوافع السلبية التي خلقتها "صفين" في المجتمع الإسلامي تنمو فيه يوماً فيوماً، إلى أن أتى القرن الثامن الهجري، فأخذت الحضارة في الأفول وبدأت الظلمات تغمرها في الأندلس" ويؤرخ لتلك الظاهرة، بسقوط دولة الموحدين، الذي كان في حقيقته سقوط حضارة لفظت آخر أنفاسها"¹.

وهنا تكون الحضارة عاجزة عن إصلاح نفسها رغم ما تراه من سير نحو الفناء والاندثار. ولذلك فإن أية أمة وأي شعب يمكن تصنيفه من حيث موقعه من الدورة الحضارية.

3- الوظيفة النفسية للدين:

إن أهم وظائف الدين في حياة الفرد إحداث نوع من الاطمئنان والراحة والسلام حيث يقول مالك في هذا "فدور العنصر الديني بوصفه عامل تنظيم نفسي دور رئيسي، لا من حيث إنه يعمل في صورة مبادئ موجهة تنطبع في ذاتية (الأنا) لتصبح دوافع وقواعد للسلوك فحسب، ولكن لأنها تستطيع أن تتجلى في صورة تحريم مانع في بعض الظروف المرضية، كما في حالة الكبت"². بمعنى أنه يعمل على بتقليص النزاعات وتهذيب السلوك.

فتأثير الدين على (الأنا) هو إذن تأثير عام سواء كان ذلك لتحديد عناصر الشخصية الأساسية... فالعنصر الديني عامة- فضلاً عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة

¹ حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، المرجع السابق.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص ص 71-72.

على ما بينا- يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون (الأنثى) الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه (الأنثى)¹.

إن الفرد يحقق لنفسه الراحة المناسبة من خلال ما يصدر عنه من تصرفات أو سلوك، لذا فهو بحاجة للدين لأجل الارتقاء بسلوكه وتنظيم تكوينه النفسي الداخلي الذي يؤدي به حتماً إلى الراحة النفسية الخالية من اضطرابات، وذلك عن طريق توجيه الطاقة الحيوية (الغريزة).

"فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية، تلك التي تعد جزءاً من طبيعته، وهو ما جعل علم الاجتماع يقول في تعريف الإنسان بأنه (حيوان ديني)، وهو بذلك يحدد جانبا من الأساس النفسي العام في أفراد النوع، وكل فرد يبنى شخصيته الخاصة على هذا الأساس"².

وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين شخصية الفرد وصقلها وجعلها بالشكل الذي يريده، وكما يساعد أيضاً على تشكيله بحسب الظروف المحيطة به والمواقف التي يمر بها في مراحل نموه ومن جميع الجوانب النفسية والمعرفية والاجتماعية، ثم توجيهها تبعاً لمقتضيات النشاط الخاص بهذه داخل المجتمع، تبعاً للنشاط المشترك الذي يريده المجتمع في التاريخ.

4- الوظيفة الاجتماعية للدين:

تعتبر التربية جزءاً من النظام الأخلاقي الذي يتطلع إليه المجتمع، في بحثه الدائم عن رقي وسمو في نظرت الأخلاقية، لذلك يوجد موقف أخلاقي ويوجد إنسان أخلاقي. لو تصورنا إنساناً له صلة شديدة بالله ولم يقرأ أي حديث عن آداب الإسلام فأرجح أنه يفعل معظمها وهو لا يدري، عنده حياء من الله يمنعه أن يتواقح، أو أن يتعدى على محارم الله أو أن يستقوي على ضعيف أو على المرأة (وإستسهال ذلك هذا الأمر)، عنده حياء يمنعه

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص ص 71-72 .

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 69.

أن لا يتعدى على حرمان الله، هذا هو الحياء، فالفطرة أن تحب الخلق، أما الصبغة أن تكون كذلك، الفطرة أن تحب العدل، أما الصبغة أن تكون عادلاً؛ أي بمعنى أن نتمثل القيم الأخلاقية ونعمل بها.

حيث يرى مالك بن نبي أنه "سواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي، أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم أو اختفت تماماً من الوجود نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية"¹.

"إذن فالعلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان... فالعلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني"².

الأمر الذي يجعل من المبدأ الأخلاقي شرطاً منتجاً للفعالية الاجتماعية فكل ضرورات البناء الاجتماعي، لا تقوم إلا على أسس أخلاقية، ولا يمكن في أي مجتمع فصل الجهد الاجتماعي عن القوى الأخلاقية التي تسانده، دون هدم هذا الجهد ذاته وطبيعي أن هذا مستحيل.

"إذن فالعلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، ولقد علمنا من حديثنا في الفصل السابق أنها تلدها في صورة القيمة الأخلاقية. فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنهما حدث، ومن الوجهة الكونية على أنهما عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد"³.

لذا اعتبر الكثير من التربويين أن الأخلاق الجزء التطبيقي للفكرة الدينية، كما نجد البعد الأخلاقي من ناحية أخرى يشكل ركناً أساسياً من أركان العملية التربوية ونسقا حيويًا في نسيج وجودها. وإنه لمن الصعوبة بمكان الفصل ما بين الأخلاق والتربية حيث لا

1 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 54.

2 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص ص 56-57.

3 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص ص 56-57.

يكون أحدهما من غير الآخر أبداً، فالتربية فعل أخلاقي في جوهره كما أن الأخلاق فعالية تربوية بطبيعتها. ويتجلى هذا التصور للعلاقة ما بين التربية والأخلاق.

ولقد انتهى مالك بن نبي لقانون: " وبهذا نستطيع أن نقدر بصورة ما درجة الفاعلية الاجتماعية في العلاقة الدينية، بأن نقر نسبة حسابية بين عدد العلاقات الدينية في مجتمع معين وعدد العلاقات التي تكون شبكته الاجتماعية"¹.

أن الدين يخلق نظاماً اجتماعياً.. وكلما ضعفت العلاقة الدينية تناقص هذا العدد وعلى عكس ذلك نجد أنه عندما تقوى العلاقة الدينية، وبقدر ما تقوى هذه العلاقة فإن درجة الفراغ الاجتماعي تقل، قلة تصبح معها صورة المجتمع متماسكة.

"إن الفكرة الدينية تحدث تغييرها حتى في سمت الفرد ومظاهره، حين تغير من نفسه، وبذلك يكون لمنهج التربية الاجتماعية أثره في تجميل ملامح الفرد، أي أن مجموعة من الانعكاسات تؤدي إلى خلق صورة جديدة، كأنها تتمثل في وجه جديد (أي أن الرأس لها شكل الأفكار التي تحملها)"².

" والعنصر الديني: يعمل على تكوين نظام الانعكاسات لدى الفرد المكيف المشروط، كما يعمل على تكوين شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك"³.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 57.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 74.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 75..

ثالثاً: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي

1- عناصر النهضة:

1-1 - الإنسان:

يعتبر الإنسان اللبنة الأساسية في تركيب أي مجتمع قائم ،والذي تبني لأجله المشاريع والمناهج التربوية التي تقوم على أساسها الحياة الراقية والنموذجية. وهو المرأة التي تعكس جوهر المجتمع وتحدد إنجازاته، ومنه فإن الاهتمام بمعرفة الإنسان وما يحيط به في عالمه الاجتماعي وكذا النفسي ، رغباته وتطلعاته وغرائزه الحيوية، أي عمق طبيعته، بجميع دوافعه المتنوعة المعقدة جداً. حتى يمكننا إخضاع تلك الدوافع الإنسانية إلى تربية شاملة متوازنة تراعي كيانه، وتتمثل تلك الدوافع في مجموعة الخصائص والطبائع التي جبلت عليها نفوس البشر ومجتمعاتهم وفقاً سنن الله في الخلق.

فإن الدارس للمسائل التربوية يجد أمامه عدة دراسات حول لإنسان بوصفه الفاعل في التربية، فقد ذهب العلماء في تعريف الإنسان الذي يستطيع القيام بدوره داخل المجتمع إلى اتجاهات عديدة قديما وحديثا وكل إتجاه له محدداته ومرجعته العقديّة أو العقلية أو الثقافية أو الفكرية أو الاجتماعية التي تنطلق منها رؤيته للإنسان، فتباينت الآراء تحكمها المحددات السابقة حيث درسوا من عدة جوانب البدنية والخلقية والسلوكية...الخ.

فقد إعتبرته الكنسية كائن روحي كرد فعل عنيف على المادية الرومانية، جعلت الإنسان يفقد توازنه وذلك بقتل غرائزه وتجاهل الجانب المادي لديه. أما الوضعية فقد أذبت الفرد في المجتمع، ورأت أن الفرد ليس بحاجة إلى الدين في عملية التوجيه. حيث تولى المجتمع ضبط حركته الاجتماعية وفق لمتطلباته ومصالح الرأسمالية. إلا أن حب الإنسان لمصلحته، منعه من الكشف عن تلك القيم التي تجعله يقدم الولاء الخالص للمجتمع.

أما الماركسية فحصرت فعالية الإنسان في العامل الاقتصادي، إلا أن الواقع وكذا الدراسات الأكاديمية، أثبتت أن سلوك الإنسان يفسر ضمن عدة عوامل تتفاعل في ما بينها

وليس حكر على العامل الاقتصادي المادي. والداروينية نظرت إلى الإنسان من زاوية حيوانية، متجاهلة جانبه الإنساني الفكري والشعوري، و الفرويدية فقد إنتهت إلى أن الجنس هو أساس حركة الإنسان وسلوكه. وأما المذهب النفعي عند "جون ديوي" نظر إلى الإنسان من خلال غريزته الذاتية المصلحية، مما أدى إلى التخلخل الخطير في الحياة الاجتماعية. لأنه عزل الإنسان بكافة مصالحه عن القيم الروحية ومبادئ الحق والعدل.

وسط هذا الزخم من الآراء الذي حاول بجدليته تحديد الإنسان الفعال في مجتمعه وضع مالك بن نبي مفهوم مضبوط لإنسان الحضارة في المجتمع المتحضر، والذي ينتظر منه أن يكون فعال في مجتمعه وفي نفس الوقت يحترم ذاته، وهذا وفقا لنمطنا الإسلامي.

إنطلق مالك بن نبي في تحديد مفهوم الإنسان من خلال مقارنته بين الإنسان العربي والإنسان الأوروبي. فمالك بن نبي يرجئ المشكلات القائمة وكذا التغيير والحضارة إلى الإنسان بصفته الفاعل في التربية وفي نفس الوقت المتلقي لها. فالإنسان في نظره هو الأداة الاجتماعية الأولى، وأنه إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع.

والإنسان عند مالك بن نبي " ينطوي على قيمتين: قيمة كإنسان، وقيمه ككائن اجتماعي. الأولى تعبر عن حقيقته الفطرية الثابتة، أي عما يولد مزودا به من إستعدادات بدنية وقدرات عقلية؛ والثانية تعبر عن حقيقة المتغيرة، أي عما يكتسبه من مجتمعه وثقافته، بمعنى عما يحدد فعاليته. (إن الإنسان في جميع أطوار التاريخ لا يتغير فيه شيء بل تتغير فعاليته من طور إلى طور)¹.

فهو يقول في هذا: " لا نواجه تغيرا في النظام السياسي، بل إن التغير يصيب الإنسان ذاته الإنسان المتحضر الذي فقد همته المحضرة، وليس من الصواب أن نبحث عن النظم، بل

1 محمد بغداد باي، التربية والحضارة، المرجع السابق، ص173.

عن العوامل الإنسانية المتمثلة في عجز الناس عن تطبيق مواهبهم الخاصة على التراب والوقت"¹.

وعلى أساس هذا الطرح يجزم مالك بن نبي: "أن الإنسان الذي لا يكون مجتمعه مجتمع حضارة معرض للحرمان من الضمانات الاجتماعية* . فأنا حينما أحاول تحديد مجتمع أفضل فكأنني أحاول تحديد أسلوب حضارة، إذا أنني حينما أحقق الحضارة، أحقق جميع شروط الحياة، والأسباب التي تأتي بمتوسط الدخل المرتفع؛ بمعنى أنني أحقق الخريطة الاقتصادية، و نتائجها الاجتماعية و الثقافية أيضا"².

وقد صنف مالك بن نبي الإنسان للأصناف وفقا للمراحل التاريخية كم يلي:

• إنسان ما قبل الحضارة:

هو الفرد الخام في حالة الفطرة مع جميع غرائزه كما خلق بها؛ فهو الإنسان الطبيعي. بحيث يجئ للطبيعة فردا في حالة بدائية ثم يتولى المجتمع تشكيله، وذلك بواسطة الفكرة الدينية التي تقوم بإخضاعه لعملية تكيف شرطية ليس من شأنها القضاء على الطاقة الحيوية.

فعملية التكيف حسب مالك بن نبي لا تعدو أن تكون مجرد إخضاع غرائز الكائن البشري (الطبيعي) لعامل الدين، حتى يخرج الفرد من حالة الغريزة إلى شكل الحياة الراقية و هي حالة الروح. يقول في هذا " غير أن الفكرة الدينية سوف تتولى إخضاع غرائزه لعملية تكيف تمثل ما يعرف في علم النفس (الفرويدي) ب (الكبت). وليس من شأن هذه العملية القضاء على الغرائز، ولكنها تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية"³.

1 مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص 46.

*الضمانات الاجتماعية: الحضارة المادية، الرفاهية.

2 مالك بن نبي، تأملات، المرجع السابق، ص 163.

3 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 109.

حيث خلق الله الإنسان وأودع فيه دوافع فطرية تعبر عن تكوينه الخاص الذي تتفرع منه غرائزه التي تشكل أساس وجوده. ولا يمكن للزمن أن يبدل أو يقتل تلك الغرائز والنوازع الفطرية، فهي أصيلة في الحياة الإنسانية فالإنسان هو الإنسان من حيث تلك الصفات الجوهرية. ففي التربية لابد من مراعاة الخصائص النفسية للفرد (مشاعر ورغبات... الخ)، مع المزج بينها وبين عنصر التوجيه والضبط.

• إنسان الحضارة:

وهنا يطلق عليه شخص ففي هذه الفترة التي يصل فيها الإنسان لدرجة قصوى من التكيف والاندماج ضمن المنظومة الفكرية لمجتمعه، يصبح قادرا على التضحية بعالم الأشياء مقابل السمو بعالم الافكار. ومؤهلا للعودة إلى حركة التاريخ والمساهمة في صناعته. "فالتاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة، بوصفه ممثلا وشاهدا"¹.

إن حركة الإنسان في التاريخ لم تكن تتحرك باتجاه محاولة تغيير العمق الإنساني بقدر ما كانت تتوجه أساسا إلى محاولة إحداث التبدل في علاقة الإنسان بالعالم الخارجي أي علاقته بما حوله من الكائنات الحية، وتسخيره للقوى التي أودعها الله في هذا الوجود.

ولا يمكن إبراز هذه المكانة إلا إذا أخذ التغيير تكريم الإنسان بنظر الاعتبار واحترم أدميته بوضوح بحيث يشعر الإنسان في ظلّه بالأمن النفسي والاجتماعي حتى يستطيع أن يستغل طاقاته من خلال حريته في خدمة المجتمع ورفي الإنسان. وربما يتبادر لذهن كيف الوصول إلى الإنسان المتكامل. هذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني لاحقا من خلال البرنامج التربوي الذي طرحه مالك له.

• إنسان ما بعد الحضارة:

وهو من تسبب في جل المشكلات الحضارية والتربوية، باعتباره إنسانا متفسخا ومتحلا فقد طاقته الحيوية ولم يعد قادرا على انجاز أي شيء. "وينتهي التاريخ بالإنسان

1 مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، المرجع السابق، ص ص 22-23.

المتحلل؛ بالجزء المحروم من قوة الجاذبية، بالفرد الذي يعيش في مجتمع منحل، لم يعد يقدم لوجوده أساساً روحياً، أو أساساً مادياً. فليس أمامه حينئذ إلا صوامع المرابطين، أو إلى أي مستقر آخر، وهذا الفرار صورة فردية للتمزق الاجتماعي"¹.

وأضاف إلى ذلك أن " الإنسان الذي تفسخ حضارياً مخالف تماماً للإنسان السابق على الحضارة أو الإنسان الفطري. فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة فحسب كما هي الحال مع الثاني الذي سميناه فيما سلف الإنسان الطبيعي إذ الإنسان المسلوب الحضارة لم يعد قابلاً لإنجاز أي عمل متحضر إلا إذا تغير هو نفسه عن جذوره الأساسية. وعلى العكس من ذلك فإن الإنسان السابق على الحضارة يظل مستعداً كما هي الحال مع البدوي المعاصر للنبي للدخول في دورة حضارة"².

• الإنسان المسلم (المتحضر):

إن الإنسان المسلم الذي يشير إليه مالك بن نبي في جل كتاباته والذي ينتظر منه التغيير وكذا معرفة دوره الذي خلق من أجله، فهو ليس ذلك الإنسان الذي يكون النوع البشري، إنما هو الإنسان الاجتماعي، والذي تقوم الحضارة بفضل قوته وتضمحل بضعفه. فالمجتمع يبدأ بالإنسان المتكامل وينتهي بالإنسان المتفسخ حضارياً.

لذا يجب وضع برنامج تربوي نصوغ من خلاله الإنسان المسلم من جديد، قبل بناء العمارات وإنشاء المصانع وتعبيد الطرق وتنظيم الحياة المادية، أو بناءهما معاً على الأقل. ولا بد لنا أن نعيد إليه شخصيته المسلوبة وإنسانيته الضائعة، وننقذه من عوامل الضياع والصراع الفكري، كي نستطيع أن نضعه بكل ثقة على طريق التغيير والبناء الجديد.

" إن أزمة الإنسان المسلم تتمثل في الركود والعزوف عن الحركة والتخلي عن السير في ركب التاريخ، أي أنه بيده مفتاح الحركة والإنطلاقة الحضارية، وبداخله تبدأ

1 مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق.

2 مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع نفسه، ص 70.

الحركة والتغيير قبل أن تخرج خارج ذاته ،أي لتطبيق والتعميم في محيطه المكاني والزماني"¹.

ويربط بن نبي بين الحضارة وقيمة الإنسان؛ ويؤكد "أن الحضارة الإسلامية إنتهت منذ الحين الذي فقدت في أساسها قيمة الإنسان. وليس من التطرف في شيء القول بصفة عامة أن الحضارة تنتهي عندما تفقد في شعورها معنى الإنسان"².

فهو يري أن: "على المسلم أن يعرف نفسه دون مغالطة، وأن يعرف نفوس الآخرين من دون كبرياء وتعال، وبكل أخوة وصدق وإخلاص، أن يحبهم لوجه الله، حتى تصل إليهم حرارة الإسلام و حرارة الحب الإسلامي"³.

نفهم من هذا أن من يقوم بالتربية لابد أن يملك شيئاً من مقومات الإنسانية، لأن التربية هي عملية تؤهل الفرد للتفاعل مع مجتمعه وإقامة العلاقات مع الآخر، وبواسطتها يكسب الانسان صفة الإنسانية بشكل حقيقي. فالمربي الواعي يقوم بإكساب المتربي المثل العليا العالمية، والتي بفضلها يندمج في مجتمعه ويتكيف مع الآخر.

فالفرد المسلم لن يستطيع إنقاذ نفسه ولا انقاذ الآخرين، ما لم يعي أن التغيير يبدأ من الداخل، لذا يقتضي على كل مسلم أن يحقق بمفرده ثلاث شروط:

" - أن يعرف نفسه.

- أن يعرف الآخرين وأن لا يتعالى عليهم، وأن لا يتجاهلهم.

- ويجب عليه أن يعرف الآخرين بنفسه ولكن بالصورة المحبة"⁴.

1 إبراهيم طيب، مواقف و افكار مشتركة بين بن نبي و ابن خلدون، المرجع سابق، ص 113.

2 مالك بن نبي، قضايا كبرى، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص164.

3 مالك بن نبي، دور المسلم و رسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص ص 28-29.

4 مالك بن نبي، دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، المرجع السابق، ص ص 58-59.

ويضيف أيضا: "إن المسلم لكي يقوم بدور فعال في حركة التطور العالمي ينبغي أن يعرف العالم، وأن يعرف نفسه، وأن يعرف الآخرين بنفسه، فيشرع في تقويم قيمه الذاتية إلى جانب تقويمه لما تملكه البشرية من قيم"¹.

إن من الأمور المسلمة بها أن الفرد الذي يعيش في جو من السماحة يتعلم المحبة والذي يعيش في جو العداوة يتعلم القتال. وباعتبار الإنسان المسلم سفير يمثل بلده ومجتمعه عند بقية المجتمعات الأخرى، فلا بد أن تكون الصورة التي تقدم عن أفعاله جيدة تعكس سماحة الإسلام.

إن من المهمات التي أكلها مالك بن نبي للإنسان المسلم هي عملية البناء، يقول مالك في هذا " أن يساهم المسلم في بناء مجتمعه كي يستطيع أن يتكلم مع الآخرين ندا إلى ند والمسلم اليوم لا يتكلم ندا إلى ندا بل يتكلم كإنسان منبوذ، لا يسمعه إلا بعض من وهبهم الله عقولا كبيرة يستمعون للفقراء أما الآخرون فهم لا يسمعون للمسلم، وعليه أن يستمر في تبليغ دعوة عطل تبليغها منذ ثمانية قرون، وهو المسؤول عن هذا التعطيل، إنه لا يستطيع ذلك ولذلك يجب أولا أن نبني مجتمعا يكون في مستوى عالمية الرسالة ثم مستوى البشر الذين نبلغهم"².

فمساهمة الفرد في بناء مجتمعه أمر ضروري، فالفوائد التي يجنيها الفرد داخل المحاضن الاجتماعية كثيرة لا تعد ولا تحصى. فهو يكتسب من خلالها أبجديات الحياة الراقية، والضمانات الاجتماعية التي تمنحه الاستقرار والأمن. فمن علامات صلاح الفرد رد الجميل في أهليه والحفاظ على مصالح المجتمع العامة وكذا التغيير دون الذوبان في حضارات أخرى. أي نبني مجتمعا يكون في مستوى عالمية الرسالة ثم مستوى البشر الذين نبلغهم.

1 مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ، المرجع سابق، ص153

2 مالك بن نبي، مجالس دمشق، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر، 2013، ص 69-70.

فقد نظر مالك بن نبي للفرد بصفته عاملاً أولياً للحضارة قيمتان:

"الأولى منهما خام، والأخرى: صناعية؛ أو: الأولى منهما: طبيعية، والأخرى: اجتماعية. أما القيمة الأولى فهي موجودة في كل فرد من الأفراد، في تكوينه البيولوجي وتتمثل في استعداده الفطري لإستعمال عبقريته وتراجه ووقته، وأما القيمة الثانية وهي القيمة الصناعية فإنه يكتسبها من وسطه الاجتماعي، وهي تتمثل في الوسائل والمسيرات التي يجدها الفرد في إطاره الاجتماعي لترقية شخصيته وتنمية مواهبه وتهذيبها. ووظيفة الهيئة الاجتماعية إنما تتمثل في الواقع في هذه الترقية أو التنمية"¹.

ويرى مالك بن نبي أن الفرد في القرن العشرين يؤثر في المجتمع بثلاثة مؤثرات: بفكره، وبعمله، وبماله. بمعنى أن قضية الفرد منوطة بتوجيهه في نواح ثلاثة:

- توجيه الثقافة.
- العمل.
- رأس المال.

1-2 - التراب:

فالتراب عنصر من عناصر تكوين الحضارة، وقيمه الاجتماعية تكون على قدر مالكيه من التقدم أو التخلف والانحطاط، ففي الجزائر أخذت الأراضي الزراعية تختفي شيئاً فشيئاً بفعل زحف الرمال وغزو الصحراء وسكان الأرض، "وقفوا منها موقف الجبان والضعيف، لقد فر ساكن البادية... فهو الآن تائه حائر بين الصحراء التي تبده، وبين المدن الساحلية التي ترفضه أو تبتلعه حيث تجعل منه إنساناً منبوذاً"²، أما في فرنسا فإنطلق الإنسان وقام "بغرس أشجار في الناحية الجنوبية الغربية من البلاد، حيث كانت

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 149.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 140.

رمال الشاطئ الأطلنطي والمستنقعات الضارة تهدد مصالح أهلها وصحتهم¹. فالإنسان عندما يعتني بالأرض وبتنميتها يحقق الرفاهية للفرد والمجتمع.

ترى الباحثة أن التربية الحل الأمثل لتعويض الشعوب والمجتمعات عن نقص مواردها وثرواتها الطبيعية؛ فليس مهم أن تمتلك المجتمعات الثروات، وإنما أن تتعلم وتتدرب على كيفية إستغلالها الإستغلال الأفضل وعلى الوجه الذي تحتاج. وهي التي توفر الأطر والتقنيات والفنيين. فهناك أمثلة كثيرة لدول استطاعت بفضل التربية والتدريب أن تكون في المراكز العالمية. ويبقى التراب عنصر من عناصر النهضة، لا يستطيع التأثير منفردا في الواقع الاجتماعي، إلا بتفاعله مع عناصر أخرى.

" ومهما يكن من بدائية وسائلنا فإن علينا أن نعمل، فالعمل لازم لزوم دراسة طبيعة الأرض والمناخ، فإننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق، وعندما تتحقق تلك المعجزة بانتصارنا على أنفسنا وعلى أهوال الطبيعة فإننا سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية، وسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة، ولكنها سوف لا تخيفنا ، لأن شعبنا أخضع التراب، ومهد فيه لحضارته ولم يعد شعبا يخاف نوائب الزمن"².

1-3- الوقت:

فالوقت " يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدما"³.

الوقت مورد نادر، لا يمكن تجميعه، ولأنه سريع الانقضاء، وما مضى منه لا يرجع، ولا يعوض بشيء، كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، وترجع أهميته في الواقع كونه رأس مال حقيقي بالنسبة للفرد والمجتمع.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 142.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 144.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 145.

"وحظ الشعب العربي والإسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر، ولكن ... عندما يدق الناقوس مناديا الرجال، والنساء، والأطفال إلى مجالات العمل، في البلاد المتحضرة ... أين يذهب الشعب الإسلامي؟! تلکم هي المسألة المؤلمة ..."¹.

فعلى الرغم من أن الناس لم يولدوا بقدرات أو فرص متساوية، فإنهم جميعا يملكون الأربع والعشرين ساعة نفسها كل يوم، وهكذا فإن جميع الناس متساوون في ناحية المدة الزمنية، سواء أكانوا من كبار الموظفين أم من صغارهم، من أغنياء القوم أم من فقرائهم.

فحسن إستغلال الوقت يتمثل في فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، وفي الوقت الذي ينبغي، فهو يمثل ثروة في مجال ما، ويكون عدما وفراغا في مجال آخر. وهو جوهر الحياة الذي لا يقدر بثمن، ويرتبط بالتاريخ، والتربية هي الأداة الوحيدة التي تغرس في أفراد المجتمع الوعي بقيمة الوقت وتثبتها فيهم، يرى مالك بن نبي أنه إذا تم " استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولا في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي، وهذه هي الحضارة"². وعلى هذا الأساس يعد الوقت أساس الحياة الاجتماعية، وعليه تقوم الحضارة.

تخلص الباحثة إلى أن العبرة ليست في إنفاق الوقت، بل في استثماره، فالوقت إذا أنفقناه ضاع، أما إذا استثمارناه فسينمو، ويؤتي ثماره في مستقبل حياتنا، وفي نفس الوقت الذي يؤكد فيه مالك على أهمية عنصر الزمن في حركة النهضة وصعودها فإنه يحذر من الاستغراق في العمل والجهد بل لا بد من اعتبار الجوانب النفسية في حياتنا كالغرب الصناعي.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 146.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 147.

2- البرنامج التربوي للثقافة:

2-1- توجيه الأخلاق:

إن عملية الممارسة التربوية القيمية والتفاعل التربوي الأخلاقي في الوسط التربوي وفقا للقيم والمعايير المطلوبة أمر ضروري. فلا يمكن للأخلاق أن تنفصل عن جوهرها التربوي في الوقت الذي لا يمكن فيه للتربية أن تتقطع عن كونها رسالة أخلاقية في أشمل تجلياتها الإنسانية وأعمقها على الإطلاق. وتأسيسا على هذه الرؤية وعلى هذا النحو يصعب تماما إيجاد الحدود الفاصلة بين التربية والأخلاق، أو بين الأخلاق والتربية لأن كلا منهما مشروط بالآخر ويتكامل معه في عملية بناء الفرد والتأثير في سلوكه والنهوض به إلى مستوى السمو الإنساني والأخلاقي.

"لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية؟ ولكن من الناحية الاجتماعية. وليس المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية، بل أن نحدد (قوة التماسك) اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة في جماعة) عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة. وتستخدم القبائل الموعلة في البداوة هذه الغريزة لكي تتجمع، والمجتمع الذي يتجمع لتكوين حضارة، فإنه يستخدم نفس الغريزة، ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية"¹.

ترى الباحثة أن للتربية الدور الرئيسي في تنشئة وتوجيه الجانب الأخلاقي في الفرد، فالتربية تلعب دورا هاما ورئيسيا في تنشئة الفرد وفي تشكيل شخصيته، وتحديد اتجاهاته واهتماماته، شغلت حيزا كبيرا وهاما من جهود واهتمام الفلاسفة والمفكرين وتحمل الأسرة والمدرسة بل والمجتمع ومؤسساته المتخصصة بشؤون النشء الكثير من أعبائها، وترجع أهمية التربية في حياة الإنسان إلى ما تغرسه في أعماقه من قيم ومثل توجه سلوكه وتصرفاته، وإلى ما ينشأ بفعلها لدى الإنسان من حب للآخرين، ومن ثم حب الإيثار، واحترام للقيم والمثل الأخلاقية التي يقرها المجتمع.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 94

فـ"كلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين، حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه. بل إن محدثي مثل هذا الإخلال، أولئك الذين يدعون- مثلاً- إلى حرية الأخلاق من أجل التقدم"¹.

فبقدر ما تكون التربية ناجحة بقدر ما تكون فاعلية الضمير قوية مما يجعل المجتمع أكثر صلاحاً، وبالعكس عندما تكون التربية قاصرة وغير ناجحة فإن المجتمع يكون عرضة للفساد والفوضى، لا تحظى القيم والمثل والعادات والتقاليد والأعراف الإيجابية في مثل هذا المجتمع بالاحترام المطلوب. والارتقاء بالأخلاق والسلوك الإنساني هو الهدف الأساس للحضارة. ومع الأسف الشديد إن العالم اليوم يعيش أسوأ إنهار أخلاقي في التاريخ الحديث. فهو يدعم سفاحين طائفيين الذين يتلذذون بشرب دماء أبناء فلسطين و سوريا، والعراق...

يعرض مالك بن نبي رأي هــفيلد ليدلل على ضرورة توجيه الأخلاق" (إن المثل الأعلى هو أقوى عامل في تقرير خلق الإنسان، وفي تعيين مسلكه، لأنه هو وحده الذي يستطيع تنبيه الإرادة، وتنظيم جميع الغرائز)). فهو هنا يبين لنا أن الطاقة الحيوية الموضوعة تحت تصرف (الأنا)، هي في نهاية الأمر في ظل مراقبة ما أسماه (المثل الأعلى). فقد أعلمنا بصورة عارضة أن تنظيم الغرائز الحيوية ليس هو وحده الواقع تحت المراقبة، وإنما يخضع لها أيضاً توجيه هذا التنظيم داخل النشاط الاجتماعي للفرد، وهو ما عبر عنه بقوله: ((تقرير خلق الإنسان وتعيين مسلكه)). وعلى ذلك فإن مشكلة اختيار المثل الأعلى من أهم المشكلات، التي تصادف الفرد في إطاره الخاص لتنظيم (الطاقة الحيوية) وفي الإطار الاجتماعي (لتوجيه هذه الطاقة الحيوية)².

من هنا يطرح السؤال هل نترك لكل إنسان إذن اتباع الطريق الذي يبدو له مؤدياً إلى المثل الأعلى؟ إننا إن فعلنا ذلك فسوف يجد اللص مثله الأعلى في السرقة، كما سيجده في عبادة القوة. وبديهي أن هذه (الحرية) لا تتفق في النهاية، لا مع مصالح الفرد، ولا مع مصالح الجماعة. ومن ناحية أخرى، لو أننا حرمانا الفرد من حرية الاختيار فسنجعل منه

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص ص 52-53.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 73.

آلة صماء، أو مخلوقا صناعيا، أكثر من أن يكون كائنا إنسانيا يتصرف في طاقته الحيوية لغايات يلمحها ضميره لمحا جليا. إذن أن هناك (مثلاً أعلى موضوعياً) يتفق مع (التقاليد الأخلاقية التي تلخص تجربة الجنس).

2-2 - التوجيه الجمالي:

للجمال أهمية اجتماعية كبيرة، وله تأثير في الروح الاجتماعية، من منطلق أن الأفكار هي المنوال الذي تنسج عليه الأعمال، فكل ظاهرة جمالية تشتمل على عناصر فردية ذاتية، وإن لكل فرد خصوصيته في التعبير عن هذه الظاهرة وطريقة التفاعل معها. إلا أن هناك مقاييس جمالية تجمع بين أفراد الثقافة الواحدة مهما تنوعت أذواقهم الجمالية. فمثلا ليس من الجمال أن تحدث إنسانا فقيرا عن مكانتك المالية في المجتمع، يجب أن تكون متواضعا، يجب أن تتحدث في الموضوعات المشتركة بين الناس، هناك أشياء ليست فرضا ولا سنة ولا عادة لكنها ذوق.

هذه الفكرة تدعم رأي مالك بن نبي حول أهمية الجمال و ضرورة توجيهه بقوله: "لا يمكن لصورة قبيحة أن توحى بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره، وأعماله، ومساعيه... فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية هامة، إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع"¹.

ويقول أيضا: "والإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة، فينبغي أن نلاحظه في نفوسنا، وأن نتمثل

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 68-97.

في شوارعنا، وبيوتنا، ومقاهينا. إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا، لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على جيراننا، الذين ندين لهم بالاحترام نفسه"¹.

إن حاجتنا الذاتية والاجتماعية إلى وجود لمسات جمالية، هي أمر ضروري جداً لا يمكن الاستغناء عنه. لأن الفرد عندما يكمل مستلزماته المادية يحس بالفراغ الذي يحدثه غياب الجانب الجمالي في حياته. ويتعلم الفرد الحس الجمالي من خلال وسائط التربوي بداية بالأسرة، وصول للمدرسة، ففيهما يتعلم كيف تنظم الصور الجمالية من كلام إلى نظام إلى ألعاب، وهكذا...و من شروط التربية الجمالية هي مجتمع مستقر، لأنه لا فائدة من التدريب عليها في نفوس قتلتها تضخم ذواتها، فجعلت الفساد و الظلم شعاراً لها.

2-3- المنطق العملي:

"كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئاً بغير مقياس يستمد معاييرهِ من واقع الوسط الاجتماعي، وما يشتمل عليه من إمكانيات ونحن أخرج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوماً."² أي استخراج ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة.

ويضرب مالك بن نبي مثل على ذلك "ولننظر إلى الأم التي تريد أن تربي ولدها، فهي إما أن تبدله بمعاملة أم متوحشة، وإما أن ترخي له العنان، وتتميع معه، فإذا أبدت إشارة أو أصدرت أمراً، شعر الطفل بتفاهة إرادتها، فلم يعبأ بها، إذ أن الوهن والسخف يطبعان منطق قولها، حتى في عين هذا الصبي المسكين."³ فلا بد للمربي من أخذ الأمور بحكمة و جدية، وأن يحسب حساب لجميع أقواله و أفعاله بإعتباره قدوة و هو من يضع الابدديات الأولى في تنشئة المتربي.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 100-101.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 102

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 103.

2-4- الصناعة:

"نعني بالصناعة ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية، فإن كل الفنون والمهن والقدرات، وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة والراعي نفسه له صناعته، ومما يدلنا على القيمة الاجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة الزهيدة"¹. حاول مالك من خلال هذا العنصر إبراز القيمة الاجتماعية للفنون والمهن اليدوية.

"وإننا لنرى في هذا الباب ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني، ليحل نظريا وعمليا المشكلة الخطيرة للتربية المهنية، تبعا لحاجات البلاد. هذا الحل المنطقي لمشكلة الصناعة هو الذي يتيح لرجل الفطرة ورجل القلة (المدينة)؛ أن يلجا معا باب الحضارة وأن نكون القيادة الفنية التي نحتاج إليها الآن"².

"ليس الأمر إذن أن تقول: إن الثقافة تحتوي بصفة عامة عددا من الفصول هي: الأخلاق، والجمال، والمنطق العملي، والصناعة الفنية. ولكن الأمر يقتضي منا (يقتضي منا) أن نتساءل: كيف ينبغي أن ندركها في صورة برنامج تربوي يصلح لتغيير الإنسان الذي لم يتحضر بعد، في ظروف نفسية زمنية معينة، أو لإبقاء الإنسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية، وفي مستوى أهداف الإنسانية؟"³.

فهذه دعوة صريحة من مالك بن نبي على تنمية اهتمام الأفراد بالعمل اليدوي والتربية المهنية، وذلك عن طريق إعداد برامج تعليمية لدعم نشاطات التربية المهنية. وتحديد أهم المعوقات التي تحول دون الإبداع التربوية المهنية.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 104

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 104.

³ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 100.

3- تَوَجِيهِ الْعَمَل:

قلنا إن حل مشكلة الإنسان يتكامل في ثلاثة عناصر أساسية هي: توجيه الثقافة وتوجيه العمل، وتوجيه رأس المال. والآن نبدأ في دراسة توجيه العمل، وهو الحلقة الثانية من مشكلة الإنسان.

فالعَمَل لدى الإنسان انبثق في بدايته الأولى عندما تحركت يد الإنسان وشقت الطريق إلى الفكر، فأعدت الجو المناسب لتطوره. إن الشيء الذي أراد مالك بن نبي إيضاحه هو أن أهمية العمل تكمن في الناحية التربوية وليس من الناحية الكسبية... فنحن نعمل ما دمنا نعطي أو نأخذ بصورة تؤثر في التاريخ"¹.

وتشير الباحثة من خلال هذه الفكرة إلى أمر جد مهم في المشروع التربوي؛ إنه العمل بمبدأ روح الفريق الواحد، ففي الحقيقة إن التربية الناجحة تقوم أساساً على التعاون بين مؤسسات التربية في المجتمع، فهم يكونون الفريق الذي يعول عليه المجتمع في تطوره ورقيه. ولكي يحقق هذا الفريق أهدافه لا بد له من العمل تحت مبدأ التعاون والإتقان في المجال التربوي وما أخرجنا جميعاً إلى العمل بهذا المبدأ في كل مجالات الحياة.

"فتوجيه العمل هو تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان، وخلق بيئته الجديدة، ومن هذه البيئة يشتق العمل معناه الآخر: (كسب العيش لكل فرد)، لأن هذا التوجيه- حين يتحد مع توجيه الثقافة، وتوجيه رأس المال- يفتح مجالات جديدة للعمل."²

إلا أن الباحثة ترى الفرد العربي فشل في الاستفادة الحقة والشاملة من العمل منذ أن تعلم لغة الحقوق قبل لغة الواجبات. ولعل أهم مصدر لهذا المرض تلك الشعارات التي تهيم على الخطاب السياسي (ابتداء من عهد الاحتلال إلى يومنا). فالشخصيات والنقابات والأحزاب والتنظيمات السياسية بمختلف اتجاهاتها تنحو في الغالب أثناء الحملات

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 115.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 115.

الانتخابية وعرض برامجها إلى الضرب على وتر الحقوق الضائعة لاستمالة أصوات الناخبين.

ويرى مالك بن نبي: "إن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي بعامة يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، بما في ذلك جهد السائل، والراعي، وصاحب الحرفة، والتاجر، والطالب، والعالم، والمرأة، والمتقف، والفلاح، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء"¹.

وترى الباحثة إن المشكلة الحقيقية ليست في ما نملك من طاقات، لكن المشكلة أننا لا نريد أن نعمل؛ ومما يجعل الفرد يلجأ لخلق مجموعة من الأسباب اليومية التي يجنح للهروب والإتكالية، مثل: قلة المواصلات والحاجة إلى مسكن مقابل التأخر والغياب عن العمل أو الخروج المبكر، وتدني الأجور مقابل بذل الجهد اللازم، وغياب المحفزات مقابل الجودة في العمل، إلخ.

وقد أدت فكرة السهولة والاستحالة إلى إتباع الطرق الملتوية، كالغش في الامتحانات والمعاملات التجارية، لذا وجب تربية الناشئة على قيمة العمل والصبر عليه. وإن أي خلل في توجيه العمل، أو أي قصور أو سوء تطبيق هذا التوجيه ينعكس أثره على التربية في اختلال عملياتها، وفقدان التوازن بين توجهها والغايات التي تريد الوصول إليها (وهذا أهم ما في التربية). عموماً إن العمل وحده هو الذي يخط مصير الأفراد في الإطار الاجتماعي. حتى يمكننا من اعطاء كل فرد مكانته في المجتمع، في ظل وارف من الكرامة والرفاهية. فمن خلال التربية أيضاً يمكننا اكتساب مهارات وخبرات جديدة وتأطير متخصصين في كل نواحي النشاط الاجتماعي المختلفة.

4- توجيه رأس المال:

يرى ابن نبي أن مصطلح رأس مال ليس من المصطلحات الإسلامية، ولا علاقة له بمفاهيم الفكر الإسلامي، ولكي يفهم هذا المصطلح، لابد من فهم المعنى الحركي العملي

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 114.

له، قبل أن يوجد كمذهب اقتصادي. "وينبغي لنا أن نفهم قبل كل شيء أن كلمة " رأس مال " ليست من مصطلحاتنا، ولا هي من الشيء الذي تعودناه، فنحن دائما نخلط بين شيئين متمايزين تمام التمايز: الثروة، ورأس المال"¹.

ولابد من تحديد رأس المال ذاته " من زاوية أخرى باعتباره آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، لا آلة سياسية في يد فئة رأسمالية، كما عالجها ماركس ومدرسته"².

ويبدأ دراسته لهذا المفهوم من خلال التفريق بين الثروة ورأس المال، "فالثروة تلقب بلقب صاحبها، أما رأس المال فإنه ينفصل اسما عن صاحبه، ويصبح قوة مالية مجردة، وهذا شيء معروف عند الاقتصاديين"³.

فالقضية حسب مالك بن نبي ليست في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه، فهو يرى ضرورة ربط بين المال والبعد الاجتماعي وحركته الاقتصادية بمعنى سير الجهود الاجتماعية في اتجاه واحد، وفقا لهدف تربوي مشترك.

"بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد"⁴.

" فالقضية إنما هي قضية منهاج يحدد لنا تخطيطا مناسبا نبني عليه حياتنا الاقتصادية، ولا يكون فيه مكان لتركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة، تستغل السواد الأكبر من الشعب، بل يجب أن يتوفر فيه إسهام الشعب، مهما كان فقيرا، وبذلك يتم التعادل بين طبقات المجتمع، وتتسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد ولا يفوتنا أن ننبه بالحاح إلى أننا بحاجة إلى تكوين مجلس لتوجيه ((الثروة)) وتوظيفها، لتتحول إلى "رأسمال"⁵.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص118

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه.

⁴ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 121.

⁵ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه.

وترى الباحثة أن المال العربي سواء العام أو الخاص يمكن تصنيفه في الغالب في خانة الثروة وليس رأس مال. وبهذا التوجيه الذي يسير متضافرا مع توجيه الثقافة وتوجيه العمل، يكون الفرد قد استكمل الشروط اللازمة لتشديد حضارة تطابق إطاره الخاص. إذا لابد لنا نبحث عن أهم ما يعيق هذه الحضارة عن النهوض، رغم توفر شروطها.

رابعاً: المشكلات السوسيو تربوية:

إن الأمراض الاجتماعية والنفسية ربما يعتبرها للقارئ أنها صغيرة، لكنها مهمة جداً لأنها كحبات الرمل التي تستطيع إيقاف آلة ضخمة. لقد تفتن مالك بن نبي لتلك الأهمية فقام بتحليل المشكلات الخاصة بالإنسان بوصف هذا الأخير المتسبب الأول فيها والتي تعيق تقدمه، نذكر بعضها:

1- حرفة الثقافة:

يري مالك بن نبي أن العالم الاسلامي الذي ظل يعاني لفترة طويلة من مرض الجهل و الأمية على أوسع نطاق بين عامة المسلمين، قد إزداد حاله تأزماً بظهور جهل من نوع آخر إنه: "الجهل الذي يلبسه أصحابه ثوب العلم، فإن هذا النوع أخطر على المجتمع من جهل العوام لأن جهل العوام بين ظاهر يسهل علاجه، أما الأول فمتخف في غرور المتعلمين"¹.

ويعود أيضاً إلى تلك النظرة التجزئية التي يتصف بها رجل القلة الذي: "لم ير في الثقافة إلا المظهر التافه، فهي عنده طريقة ليصبح شخصية بارزة، و إن زاد فعلم يجلب رزقا"². "والحقيقة أننا قبل خمسين عاما كنا نعرف مرضا واحدا يمكن علاجه، وهو الجهل والامية، ولكننا اليوم أصبحنا نرى مرضا جديدا مستعصيا هو (التعالم)"³.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 39.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 90.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص ص 90-91.

وإن للتعالم أضرارا وخيمة ومفاسد جسيمة تمتد أثارها للفرد والمجتمع، فإذا تم تخريج دفعة ضعيفة، وغير مؤهلة في تخصص كان، سيؤدي هذا حتما إلى تخريج دفعات ضعيفة من طلابهم في المستقبل (فاقد الشيء لا يعطيه) ويصبح كل هؤلاء جزء من المشكلة، بل مغديا لها. وإن كان من السهل على أمة بذل الجهود المكثفة وتوفير الامكانيات المطلوبة في علاج مرض الجهل والامية. بينما من الصعب جدا معالجة مرض الحرفية في الثقافة.

" لأن عقل هذا المريض لم يقتن العلم ليصيره ضميرا فعالا، بل ليجعله آلة للعيش، وسلما يصعد به إلى منصة البرلمان. وهكذا يصبح العلم مسخة وعملة زائفة، غير قابلة للصرف. وان هذا النوع من الجهل لأدهى وأمر من الجهل المطلق، لأنه جهل حجرته الحروف الأبجدية"¹.

لقد تحولت اللافتات العلمية زينة تتصدر المجالس، وألقابا للتفاخر ذلك أن نزعة المديح والألقاب قد أسرتنا منذ عهود الانحطاط، فألقاب مؤلف أي كتاب لا بد أن تملأ نصف الصفحة الأولى على الأقل، فهو العالم العلامة والحبر الفهامة... ونظرة إلى الصحف الآن التي تعيش على المدح تكفي لنعلم كم نعيش تحت أسر الكلمات الطنانة التي ليس لها معنى، وإنما هو الغرام الأحمق بمجرد الكلام، ويصبح المثل الأعلى من هو أقدر على الكلام ولو لم يكن له أي دور اجتماعي.

2- مشكلة المرأة:

ان المرأة والرجل هما مرادفتين لمفهوم واحد هو الإنسان صانع الحضارات. إن قضية المرأة في تطور، ولكننا لم نشرع بعد في التخطيط الدقيق لجميع مشكلاتها أمورها فنحن نراها فتاة في المدرسة، وطالبة في الجامعة، عاملة في المؤسسات والمصانع وطبيبة ونائبة وغيرها من الوظائف المختلفة في شؤون الحياة العامة. الشيء الذي يملئ على المثقفين والباحثين في شتى الميادين: من علماء في الشريعة، والتربية، وعلوم

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 91.

الاجتماع وغيرهم، زيادة وتكثيف جهودهم من أجل إيجاد رؤية جديدة صحيحة في قضية المرأة.

"إنه ليجدر بنا بادئ الأمر أن نستبعد من دائرة بحثنا تلك الأقاويل التي يقولها بدافع من عواطفهم أولئك الذين نصبوا من أنفسهم ذادة عن حقوق المرأة من كتاب الشرق أو الغرب. فليس بمجد أن نعقد مقارنة بين الرجل والمرأة، ثم نخرج منها بنتائج كمية تشير إلى قيمة المرأة في المجتمع، وإنها أكبر أو أصغر من قيمة الرجل، أو تساويها فليست هذه الأحكام إلا افتتاتا على حقيقة الأمر، ومحض افتراء"¹.

وإذن فهذه المشكلة ينبغي أن تصفى أولاً من مثل هذه النزعات، ثم تحل حلاً يكون الاعتبار الأول فيه لمصلحة المجتمع، فالمرأة والرجل يكونان الفرد في المجتمع: فهي نصف المجتمع، كما أن الرجل نصفه الآخر، فالمرأة والرجل قطبا الإنسانية، ولا معنى لأحدهما بغير الآخر.

وذلك من خلال شتى الوسائط التربوية، ابتداء بالمدارس والجامعات، والمراكز التربوية والاجتماعية، والخطب في المساجد، ومحاولة الاستفادة منها وفضح أفكار الهدامة في هذه القضية بالذات ومهما يكون مصدره، وإستبدالها بأخرى صحيحة.

فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات، فإن المرأة قد كونت نوابغ الرجال. فمشكلة المرأة هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبله وحضارته، فالقضية ليست قضية فرد، وإنما هي قضية مجتمع.

يقول مالك بن نبي في هذا: "إن مشكلة المرأة بالشيء الذي يحله قلم كاتب في مقال أو في كتاب. ولكني أرى أن هذه المشكلة متعددة الجوانب، ولها في كل ناحية من نواحي المجتمع نصيب؛ فالمرأة كإنسان تشترك في كل نتاج إنساني أو هكذا يجب أن تكون"².

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 123.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص ص 127 - 128.

تؤكد الباحثة على ضرورة العناية بتربية المرأة وبناء شخصيتها بناء متكاملًا من جميع الجوانب، لاسيما الدينية والثقافية والعلمية. كذلك لابد من رفع مستوى وعي المرأة وإدراكها لواقعها والتغيرات الحاصلة فيه، وتضمين المناهج التربوية دروس توضح للمرأة ما يحاك ضد الأمة عموما والمرأة خصوصا من مخططات تهدف إلى إبعادها عن دينها وتهميش دورها في الحياة بشكل يجعلها تشعر بالاغتراب أو الخروج بمنظر غربي والانشغال بالترهات والتوافه من تتبع لآخر ماركات الموضة، وصرف المبالغ الكبيرة على الزينة والتبرج والترف لتقليد الفنانين، وتضييع الوقت أمام أفلام تركية وهندية خليعة تحلل كل المحرمات، مما جعل الفتاة العربية تخدع بهذا الوعي الإعلامي الزائف وكل ذلك سببه جهلها بالدور المنوط بها وكذا النظرة الدونية لذاتها نتج عنه التفكك الأسري الكبير.

وينتهي مالك بن نبي لفكرة مفادها "لو أن نساءنا عقدن مؤتمرا عاما يحددن فيه مهمة المرأة بالنسبة لصالح المجتمع، حتى لا تكون ضحية جهلها، وجهل الرجل بطبيعة دورها، فإن ذلك أجدى علينا من كلمات جوفاء ليس لها في منطق العلم مدلول، ولن يكون تخطيط حياتها في المجتمع مفيدا إلا إذا نظرنا إلى هذا المؤتمر بعين الاهتمام، بشرط أن يضم الوسائل الكفيلة بتناول المشكلة من جميع أطرافها، فيجب مثلا أن يضم علماء النفس وعلماء التربية، والأطباء. وعلماء الاجتماع وعلماء الشريعة، وغيرهم. وحينئذ نستطيع أن نقول: إننا وضعنا المنهج الأسلم لحياة المرأة، ولسوف يكون هذا التخطيط حتما في صالح المجتمع، لأن علماء والمفكرين فيه هم الذين وضعوه"¹.

والجدير بالذكر هو أن لا مجال للمقارنة بين المرأة المسلمة وأختها الأوربية، فهما يختلفان تماما في الجذور التاريخية فالمرأة المسلمة أعزها الإسلام بينما الأخرى أهانتها الكنيسة وكذا مجتمعا، لذا ليس حلا أن تقلد العربية الأوربية في لباسها. فالزي الذي تختاره المرأة لنفسها دليل واضح على الدور الذي تريد تمثيله في المجتمع وتمثله فعلا. فلا بد أن توضع المرأة هنا وهناك حيث تؤدي دورها خادمة للحضارة، وملهمة لذوق الجمال وروح الأخلاق، ذلك الدور الذي بعثها الله فيه أما، وزوجة للرجل. فالقضية إذن

¹ مالك بن نبي ، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 128.

تتطلب حلا جماعيا، لا وجهة نظر فرد، والإجماع يكون إما بطريق مسايرة الظروف وإما بتسيير الظروف نفسها.

3- مشكلة الزي:

إن اللباس جزء من كيان الإنسان، فإذا كان اهتمامنا بالشكل أهملنا الذات، وإذا اهتمامنا بالذات أهملنا الشكل، إلا أن في حقيقة الأمر الشكل والمضمون متلازمان، فالإنسان وحده هو الذي يختار أي فرد يكون و هذا حسب الزي الذي يختار. فلا بد من أن يكون المظهر متناسبا مع ذات الفرد، فهذا اللبس الرفيع يكره إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله عز وجل. فلا افراط و لا تفريط.

فمالك بن نبي يرى "ليس اللباس من العوامل المادية التي تقرر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب، بل إن له روحه الخاصة به. وإذا كانوا يقولون: (القميص لا يصنع القسيس) فإنني أرى على العكس من ذلك، فإن القميص يسهم في تكوين القسيس إلى حد ما، لأن اللباس يضيف على صاحبه روحه ومن المشاهد أنه عندما يلبس الشخص لباسا رياضيا، فإنه يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده، ولو كان ضعيف البنية، وعندما يلبس لباس العجوز فإن أثر ذلك يظهر في مشيته وفي نفسه، ولو كان شابا قويا"¹.

والحقيقة أن مظهر الإنسان مهم جدا، وجزء من مكانته الاجتماعية؛ فمثلا: إن كان الزي الذي يرتده الإنسان جيد فسيشعر بثقة بنفسه، وإن كان بثوبه خلل؛ هناك بقعة مثلا، أو زر مقطوعة، و لاحظ أن هناك من يرى ذلك فيبقى طول الوقت محرجا جدا فكلما كانت ملابسه منظمة يشعر بثقة بنفسه. وهناك أناس كثيرون يأخذون فكرة عنك - أول فكرة - من ثيابك؛ فأنت لست محمودا إن أخذ الناس فكرة سيئة عنك من ثيابك وأنت إنسان عظيم.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 133.

4- مشكلة الفنون الجميلة:

إن الفنون هي المهارات التي يبدعها الإنسان لها وظيفة تربوية سامية ولا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت هذه الفنون ذات رسالة أخلاقية، فهي إما داع إلى الفضيلة، وإما داع إلى الرذيلة، فإذا ما حددت الأخلاق مثله، وغذى الجمال وحيه، فينبغي عليه أن يحدد هو وسائله وصوره الفنية للتأثير في الأنفس.

"إننا نرى أن للفن الجميل دخلا حتى في الصور التي تختار لأطفالنا الصغار في كتبهم المدرسية، فلقد شاهدت صورة في كتاب مدرسي للأطفال يدرس في مصر (قبل الثورة) ويظهر فيه طفل ترافقه أخته، وهما ذاهبان إلى المدرسة ووراءهما خادم يحمل لهما حقبيتهما: فهذه صورة تبعث في نفس الطفل روح الاتكال واحتقار العمل والعاملين"¹.

إن الفن أداة للسمو بالمجتمع، وإمتاعه، وإقناعه فالفنون تحمل خبرات وتجارب الحياة، وذلك فهي وسيلة راقية لتنوير وتعليم الإنسان، وتربية ذوقه، وحسه الجمالي. وقد سئل توفيق الحكيم لماذا تكتب؟ فكان جوابه إن الفنان لا بد أن يكون له وجهة نظر في الحياة وفي الناس وفي الأفكار. الفنان ليس مجرد متفرج. إنه متفرج وصانع لمجتمعه في وقت واحد. لذا لا بد للفرد أن يميز بين ما يدعو إلى تحقق الجمال وفقا لأخلاق الفاضلة وبين تلك التي تشيع الرذيلة والفسق والفجور في المجتمعات والتي لا تستحق أن تسمى فنونا بأي حال من الأحوال.

5- الاستعمار والمعامل الاستعماري:

لقد أخذ يدرس الاستعمار كواقع موجود أمامه، وقام بتقسيمه إلى قسمين، أطلق على الأول اسم المعامل الاستعماري، وأطلق على الثاني اسم معامل القابلية للاستعمار.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 137.

5-1- المعامل الاستعماري:

يرى مالك إن المعامل الاستعماري "يفرض على حياة الفرد عاملاً سلبياً نسبيته بالمصطلح الرياضي (المعامل) الاستعماري Coefficient ولذلك المعامل تاريخه في سياسة الاستعمار... الموحية لسياسة التهديم في جوهر الفرد الجزائري ومحو عبقريته، ولقد ظهرت طلائع هذه السياسة غداة الهزيمة التي أصابت فرنسا عام 1870 فانتهت من هيبتها"¹.

فحسب مالك بن نبي " أن هذا (المعامل) يؤثر في حياة الفرد في جميع أطوارها وهو طفل، إذ لا يمدده المجتمع بما يقوي جسده وينمي فكره، أو يهيئ له مدرسة أو توجيهاً، هذا إذا كان له أب يحنو عليه. أما إذا فقد من نشأته الأب فسيكون الأمر أدهى وأمر، ولسوف يؤول صاغراً إلى ماسح أحذية، أو سائل يتخلى عن كل عز وكرامة، بإراقة ماء وجهه. فإذا ما كتبت له النجاة من كل هذه النكبات، وهيئت له الأسباب لأن يجد مقعداً في مدرسة... فكم من العراقييل توضع في طريقه! ... ممتحنون بلا إنتصاف، .. وحكام بلا شفقة، ومستخدمون بلا ضمير ... وأخيراً فكم يلاقي ذلك الفتى المسلم في سبيل الحصول على وظيفة حقيرة!"².

"وإذا ما بلغ مبلغ الرجال ماذا يعمل؟ فالشراء، والبيع، والسفر، والكلام، والكتابة والتلفون، وكل الأعمال التي تقوم عليها حياته الاجتماعية لا تتأهلها يده إلا بشق الأنفس ومن خلال شبكة دقيقة مسمومة من الأحقاد، تسلبه كل وسيلة لإقامة حياته، وتنتشر من حوله الأفكار المحطمة لقيمته والمعرقلة لمصالحه. فتحيطه بشبكة محكمة ينسجها خبث المستعمر الداهية"³.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 150

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 151.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 150.

وبديهي أنه في هذه الحالة لا سبيل له لأن يقوم بأعماله إلا بالقدر الذي يقدره الاستعمار له، فهو يعيش كأن يدا خفية، وتارة مرئية، تشتت معالم طريقه، وتقصي باستمرار أمامه العلامة التي تحدد هدفه، فلا يدركه أبداً.

"ومهما يكن من أمر فإن واجبنا نحن (غير الكبار) أن نتحدث في الأشياء التي تخصصنا، ومنها ذلك المعامل الاستعماري، الذي يعمل في حياة الفرد ضد مصيره، وضد ضميره. وإن الواجب ليقضي على كل (غير كبير) أن يشعر بما تتطوي عليه شخصيته من قيمة جوهرية، هي تراثه الخاص الذي لا سلطان لأحد عليه، فكما أنه ليس للاستعمار أن يتصرف في الزمان والمكان، فكذلك لا يستطيع أن يتحكم في عبقرية الإنسان"¹.

5-2 - القابلية للاستعمار:

والمقصود به الهزيمة النفسية التي يصاب بها المغزوء؛ ليصبح قابلاً للاستعمار وتبعاته ومدافعاً عنه وهو معامل داخلي نفسي، فمالك بن نبي يقول في هذا: "هناك حركة تاريخية ينبغي ألا تغيب عن نواظرننا، وإلا غابت عن نواظرننا الأشياء فلم نر منها غير المظاهر، هذه الحركة لا تبدأ بالاستعمار، بل بالقابلية له، فهي التي تدعوه... ومع ذلك فقد يكون الاستعمار أثراً سعيداً من آثار تلك القابلية؛ لأنه يقلب حينئذ التطور الاجتماعي الذي أوجد المخلوق القابل، فهذا المخلوق لا يدرك قابليته للاستعمار إلا إذا استعمر، وعندئذ يجد نفسه مضطراً لكي يتحرر من صفات أبناء المستعمرات، بأن يصبح غير قابل للاستعمار"².

إن مالك يركز على هذا المعامل كثيراً، ويعتبره هو الانتكاسة النفسية للذات المغلوبة أمام الذات الغالبة، حتى تشعر بأن كل ما يقوله ويصفه ويضعه هو الصواب حتى ولو وصفه المستعمر بأي شيء، فيعتبر في عرف المستعمر صحيحاً يدافع عنه

¹ ن مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 154.

² عمر نقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي - نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الإسلامي المعاصر - الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2009، ص 113.

ولذلك يرى مالك أنه لكي نتخلص من الاستعمار الجاثم على قلوبنا علينا أن نتخلص أولاً من القابلية له.

فيقول: "إن القضية عندنا منوطة أولاً، بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر، وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا، وتشثيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال، ولا أمل في حرية مهما كانت الأوضاع السياسية، وقد قال أحد المصلحين "أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم"¹.

ولكن مالك لا يري بحتمية القابلية للاستعمار عند وجود كل حالة استعمارية، فقد يوجد استعمار ولا توجد قابلية له و ضرب أمثلة: فروما لم تستعمر اليونان، وإنجلترا التي استعمرت أربعمئة مليون من الهنود إذ كانت لديهم القابلية، لم تستعمر أيرلندا الخاضعة دون ما استسلام، وفي مقابل ذلك نجد اليمن التي لم تفقد استقلالها لحظة لم تفد من ذلك الاستقلال أدنى فائدة، لأنها قابلة للاستعمار.

إذن مالك يري أن المسألة الاستعمارية هي مسألة نفسية بالأساس، ولذلك هو يؤكد على تصفية الاستعمار من النفس الإنسانية، فيقول " فتصفية الاستعمار في الإنسان تشترط تصفيته في الأرض، ويجب أن تتقدمها"².

6- قوارض شبكة العلاقات الاجتماعية :

إن الاستعمار يعرف طبيعة مكونات المجتمع، ودور شبكة العلاقات فيه، إنه يعرف أكبر مؤثر في تحديد طبيعة المجتمع، والأساس المحرك له ألا وهو الفكر والاستعمار يسعى لتغيير المجتمع وفقاً لما يراه، فإذا استطاع أن يغير الفرد ليجعل القابلية للاستعمار مغروسة فيه، فهو أيضاً يسعى لتدمير المجتمع، والعمل لتسهيل قيادته.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 154-155..

² مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع نفسه، ص 44.

فهو يعلم" أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تؤمن بقاء المجتمع، وتحفظ له شخصيته، وإنها هي التي تنظم طاقته الحيوية ، لتتيح له أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ، وبدهي أننا لا نستطيع أن نفترض أن الاستعمار يجهل هذه العوامل في بلد مستعمر فهو يطبق في سياسته إزاء البلد المستعمر القاعدة " فرق تسد"¹.

ولكن مالك يرى أن المستعمر نفسه أصبح لا يرى إلا ما يريد أن يريه إياه الاستعمار " فنحن ندرك جيدا النشاط الاستعماري، عندما يكون مرئيا واضحا، كأنه لعبة أطفال ولكننا لا ندرك مجال هذا النشاط ولا وسائله منذ اللحظة التي يصبح فيها دقيقا كلعبة الشيطان"².

فهو يرى أننا ندرك الوسائل القاتلة — كالدبابة — والطائرة والقنابل والرصاص — ولكننا لا ندرك الوسائل المستورة، من أساليب الاستعمار فمنها مثلاً " إن الاستعمار هذه المرة لم يخرج فرقه العسكرية لتحطيم الطاقة الحيوية في الشعب الجزائري، وهدم شبكة علاقاته الاجتماعية. فقد كان بحسبه أن يغتال رجلا واحدا حتى يبيث الفوضى والاضطراب... وقد فعل!! أو ثم إنه ألقى ببعض المال في ضمير الزعماء السياسيين الذين تتجسد فيهم في فترة معينة ، طاقة البلاد الحيوية وفكرة نضالها"³.

ويقوم مالك بتصوير الطرق الخفية للاستعمار، ومنها استخدام الاستعمار القوارض لشبكة العلاقات الاجتماعية، وذلك من خلال استخدام عالم الأشخاص، بحيث يسيّر سلوكهم من خلال عالم الأفكار فيقول: " يستخدم الاستعمار نوعا من القوارض المجازة، الذين ربوا بعناية في بؤره الثقافية لمهاجمة شبكة العلاقات الثقافية والأخلاقية في بلد معين، وهم أنفسهم الذين يدعون أنهم يمثلون ثقافته"⁴.

وإننا لندرك جيدا أن الاختصاصيين الذين يعملون لحساب الاستعمار أساتذة في ذلك الفن المطبق على الشبكات الاجتماعية، وعلى الطاقة الحيوية التي يملكها شعب

1 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق ، ص 82

2 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 83.

3 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 84.

4 مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 85.

مستعمر فعلا، أو مهدد بمؤامرات الاستعمار، وحسبنا أن ننظر حوالينا لنرى هؤلاء القوارض يعملون في بلادنا، وكيف أنهم مدفوعون دائماً إلى المسرح بيد خفية، ولقد يكون صرحاً دولياً، أعني حيثما وجدت قيم صالحة للقرض يمكن أن تتحول إلى لا قيم.

ويضرب أمثلة من الواقع على ذلك فيقول: "لنفترض أن رجلاً مشهوراً - له مواقف واضحة في توجيه الصراع الفكري، في البلاد العربية هذه الأيام - يريد أن يبرهن على عطفه تجاه مثقف يشترك في هذا الصراع. ولنفترض أن هذا الرجل المشهور منحه إقامة شهر في أي مكان على نفقته الخاصة، وأنه أعطاه من أجل ذلك إذنًا مطلقاً فيما يتعلق بالنفقات. وعندما يريد أن يخرج هذا المثقف فيوقع على قائمة حسابه، فيلاحظ أن جانباً من النفقات قد حمل على بند "بار" فهذه الكلمة هي حبة الرمل الصغيرة المخصصة لتحطيم علاقة ما... ولقد يتخذ هؤلاء الفنانون في حالة أخرى، الموقف نفسه بطريقة مختلفة. إذ ينفخون في ميزانية الإقامة حتى تتورم بمصروفات عديمة الجدوى، تورماً تضر معه الضيافة بمن أفاد منها، وبمن أذن بها"¹.

"والاستعمار فنان في هذا الميدان، فهو يعرف كيف يطلق الغرائز غير الاجتماعية لدى القوارض من كل نوع، يستخدمها جميعاً في هدم شبكة العلاقات الاجتماعية، التي تتيح لمجتمعنا أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ."² إنه يري أن كل العوامل غير الفعالة في المجتمع، أغلبها من الاستعمار مثل الروتين، والتغيب أو عدم تقبل النقد، كلها تعمل على تدمير شبكة العلاقات الاجتماعية، مما يؤدي في النهاية إلى سقوط المجتمع، تحت رحمة الاستعمار في أغلب تصرفاته وأفكاره.

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص ص 85-86.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 93.

* خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق، أمكن التعرف على بعض القضايا التربوية المتعلقة بالأنظمة: الاجتماعية والأخلاقية والثقافية والتي أدرجها مالك بن نبي في كتابيه؛ شبكة العلاقات الاجتماعية، التربية الاجتماعية، الفكرة الدينية وكذا عناصر النهضة و توجيهها. وإهتم مالك بن نبي أيضا بالمشكلات الناتجة عن النظام الثقافي والمشكلات المتعلقة بالإنسان حيث إنطلاق من فهم واقعي للخصوصية الثقافية والتي صاغ من خلالها معظم مفاهيمه.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن مالك بن نبي في طريقة تحليله إعتد على مفاهيم ومناهج المقاربة البنائية الوظيفية؛ حيث يركز على البنية والوظيفة وكذا عملية الانتقاء حسب مبدأ الجدارة، واعتمد أيضا على المنهج المقارن في دراسته التاريخية للدين. وهو يؤمن بأن الظواهر الإنسانية تخضع لقوانين رياضية علمية.

الفصل الرابع

الإجراءات المنهجية للدراسة

* تمهيد

أولاً: منهج الدراسة

ثانياً: عينة الدراسة

ثالثاً: أداة تحليل المضمون

رابعاً: الخصائص السيكومترية لأداة التحليل

خامساً: الأساليب الإحصائية للدراسة

* خلاصة الفصل

* تمهيد:

"تحتل هذه المرحلة الميدانية أهمية خاصة في البحوث الاجتماعية، وذلك لأن قيمة البحث الاجتماعي لا تتمثل فقط في جمع التراث النظري، والإطلاع على البحوث والدراسات التي تناولت المشكلة موضوع الدراسة بشكل مباشر، وإنما القيمة الحقيقية للبحوث الاجتماعية تتمثل في اعتمادها على العمل الميداني الذي يمكن الباحث من جمع المعلومات من المجتمع الذي يقوم بدراسته، ومراجعة هذه البيانات مراجعة دقيقة أثناء القيام بالعمل الميداني"¹.

غير أن هذه البيانات التي يجمعها الباحث تصبح لا قيمة لها إلا إذا قام بتحليلها وتفسيرها. فالمرحلة الميدانية من أهم مراحل دراستنا وذلك لما تتطلبه من بصمات خاصة بالباحث؛ وذلك من خلال إجراءات التي سوف يتم إتباعها في هذا الفصل بدءاً من الدراسة الاستطلاعية، والمنهج المتبع وكذا تحديد أدوات جمع البيانات في البحث ثم مجالات البحث ووصف عينة الدراسة وحدودها وكيفية اختيارها البحث ثم تحليل النتائج.

أولاً: منهج الدراسة

تختلف المناهج باختلاف الدراسة؛ حيث أن المناهج التي تصلح للبحث عن حقيقة ظاهرة معينة تختلف باختلاف الموضوعات المطلوب بحثها من قبل الباحثين، والذين يمكن أن يتبعوا مناهج علمية مختلفة، و بشكل عام يمكن تعريف المنهج العلمي بأنه "عبارة عن أسلوب من أساليب التنظيم الفعالة لمجموعة من الأفكار المتنوعة والهادفة للكشف عن حقيقة تشكل هذه الظاهرة أو تلك"².

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية "التي لا تقف عند حد جمع البيانات وإنما تمتد إلى تصنيف البيانات والحقائق التي تم تجميعها وتسجيلها وتفسيرها وتحليلها

¹ سعيد ناصف، محاضرات في تصميم البحوث الاجتماعية و تنفيذها - نماذج لدراسات و بحوث ميدانية-، مكتبة زهراء الشرق ، مصر، 1997، ص159.

² عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي -النظرية و التطبيق-، دار صفاء للنشر و التوزيع، طبعة 01، عمان، 2000، ص 33.

تحليلاً شاملاً وإستخلاص نتائج ودلالات مفيدة منها"¹. ولتحقيق أهداف الدراسة إستعانة الباحثة بأسلوب تحليل المحتوى **Content Analysis** وهو " أسلوب يتيح بصفة عامة تحليل سلوك الأفراد والشخصيات، ومواقفهم من خلال المواد التي يكتبونها أو يقولونها"².

تلتزم الدراسة بالحدود التالية :

تحليل مضمون كتابين من كتابات مالك بن نبي هما: كتاب ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

وتمت الدراسة التحليلية الفعلية من تاريخ 01 ماي إلى 10 ماي 2017، وربما يختار القارئ ويتسأل كيف يتم تحليل كتابين لمفكر مثل مالك بن نبي في هذه المدة القصيرة، وحتى لا يقع القارئ في هذا الغموض بإمكاننا توضيح الأمر؛ حيث بدأت الباحثة عملية التجزئة والتحليل لمضمون الكتابين منذ العام الماضي إلى يوم البدء الفعلي بالتحليل، إضافة للتحليل الكيفي مما سهل عليها الأمر.

¹ لؤي عبد الفتاح و. زين العابدين حمزاوي، أساسيات في تقنيات ومناهج البحث، جامعة محمد الأول، كلية العلوم الاجتماعية، وجدة، المغرب، السنة الجامعية (2010-2011)، مطبوع جامعي، ص 27-28.

² كنعان أحمد علي، شعر الأطفال في سورية دراسة في تحليل المضمون التربوي ، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1995، ص 23.

ثانيا: عينة الدراسة

1- مجتمع الدراسة:

بعد تحديد مشكلة البحث وتساؤلاته وقبل تحديد أدوات جمع البيانات، لا بد من تحديد مجتمع الدراسة، وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع كتابات مالك بن نبي المنشورة، كما هو مبين في الجدول رقم (01):

يوضح الجدول رقم (01) مجتمع الدراسة

إسم الكتاب	سنة الاصدار الاول	البلد التي كتب فيها	اللغة التي صدر بها
الظاهرة القرآنية	1946	الجزائر	الفرنسية
لبيك حج الفقراء	1947	الجزائر	الفرنسية
شروط النهضة	1948	الجزائر	الفرنسية
وجهة العالم الاسلامي	1954	باريس	الفرنسية
الفكرة الافريقية-الاسيوية	1956	القاهرة	الفرنسية
النجدة للجزائر	1957	القاهرة	الفرنسية
مشكلة الثقافة	1959	القاهرة	الفرنسية
حديث في البناء الجديد	1960	بيروت	الفرنسية
الصراع الفكري في البلاد المستعمرة	1960	القاهرة	العربية
الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي	1960	القاهرة	الفرنسية
فكرة كومونولث اسلامي	1960	القاهرة	الفرنسية
تأملات في المجتمع العربي	1961	القاهرة	الفرنسية

الفرنسية	القاهرة	1961	في مهبط المعركة
الفرنسية	القاهرة	1962	ميلاد مجتمع "شبكة العلاقات الاجتماعية"
الفرنسية	الجزائر	1964	افاق جزائرية
الفرنسية	الجزائر	1966	مذكرات شاهد للقرن القسم الأول الطفل
—	—	1968	الإسلام والديمقراطية
الفرنسية	القاهرة	1969	إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الاسلامي الحديث
العربية	بيروت	1970	مذكرات شاهد للقرن القسم الثاني الطالب
الفرنسية	القاهرة	1971	مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي
العربية	بيروت	1972	المسلم في عالم الاقتصاد
العربية	بيروت	1972	دور المسلم و رسالته في الثالث الأخير من القرن العشرين
الفرنسية	طرابلس-لبنان	1977	بين الرشاد و التيه
الفرنسية	الجزائر	1989	من أجل تغيير الجزائر
الفرنسية	الجزائر العاصمة	1976	القضايا الكبرى
—	—	—	مذكرات مالك بن نبي (العفن) - ج 1، ما بين 1932 و 1940

- هناك كتابات لم تظهر بعد في المجال الأكاديمي.
- كل الكتب التي كتبت بالفرنسية تم ترجمتها للعربية.

2- العينة الأساسية للدراسة:

تعتبر العينة جزء هام في نجاح البحث العلمي، لما توفره من جهد ووقت على الباحث فهي "مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة يتم اختيارها بطريقة معينة؛ فهي شريحة (جزء) من مجتمع الدراسة تحمل خصائص وصفات هذا المجتمع وتمثله فيما يخص الظاهرة موضوع البحث بحيث تكون ممثلة بصدق لهذا المجتمع"¹.

بعد تحديد تساؤلات الدراسة التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عليها، ولكثرة المؤلفات وتنوعها، وضيق الوقت لإنجاز هذه الدراسة، قد تم اختيار العينة بطريقة قصديه وذلك للاعتبارات الآتية:

فقد تم اختيار كتابيه "ميلاد مجتمع" و"شروط النهضة" نظرا لأهميتهما في دراستنا الحالية، فالباحثة ترى أنهما يحققان أهداف الدراسة؛ حيث أن الأول يهتم بالمجتمع نشأته وتطوره وكيفية الحفاظ عليه، وهو في صلب لإختصاص، أما الثاني فهو دعوة لإصلاح والتوجيه والتغيير لذلك البناء الاجتماعي. فجاءت العينة كما يلي:

📖 ميلاد مجتمع.

📖 شروط النهضة.

❖ توصيف عينة الدراسة:

1- الكتاب الاول: ميلاد مجتمع

أ- العرض التحليلي لشكل الكتاب:

عنوان الكتاب: ميلاد مجتمع -الجزء الأول- شبكة العلاقات الاجتماعية

تأليف: مالك بن نبي

ترجمة: عبد الصبور شاهين

الناشر: دار الوعي للنشر والتوزيع، (وزارة الثقافة)

¹ عبد الرحمن عدس، البحث العلمي- مفهومه، أدواته، أساليبه، دار مجدلوي للنشر و التوزيع ، عمان، الأردن، 1992، ص 109.

سنة النشر: 2013

مكان النشر: روية- الجزائر

سلسلة: مشكلات الحضارة

يحتوي على 128 صفحة من القطع المتوسط بيضاء. تتصدر الواجهة صورة مالك بن نبي. وعند استبعاد المقدمات والمسارد يصبح عدد الصفحات المعنية بالتحليل 106 صفحة. ويحوي:

- مقدمة لعمر مسقاوي.
 - مقدمة بالعربية لمالك بن نبي القاهرة 11/أفريل/ 1962.
- جاء الكتاب مقسما إلى عدد من الموضوعات المتنوعة التي لا تجعله نمطي أو ممل. نذكرها على شكل أفكار أساسية.

ب- عرض تحليلي للمضمون الكتاب:

1- الموضوع العام للكتاب:

بوصفه كتاب يتحدث عن المجتمع وقضاياها، فإن موضوعه الرئيسي هو: نظرة تحليلية لمكونات المجتمع، ومحاولة تأمل في كيفية نشأته أو ميلاده، وكذا وظيفته في التاريخ.

يحتوي الكتاب على خمسة عشر (15) عنصرا وجاءت أفكارها الأساسية كما يلي:

العنصر الاول: عنوانه: أوليات: يتكون من 19 صفحة.

في هذا العنصر يركز مالك بن نبي على تحديد مفهوم المجتمع والظروف المؤثرة في نشأته و تطرق لأهم أنواع المجتمعات.

العنصر الثاني: النوع والمجتمع

ويدعو فيه إلى تحديد المجتمع في نطاق الزمن وكذلك تحديد الوظيفة التاريخية له. ليصل لمسلمة ان الطبيعة توجد النوع البشري، وحركة التاريخ تصنع المجتمع.

العنصر الثالث: الآراء المختلفة في تفسير الحركة التاريخية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية: هي إدراج أهم الإتجاهات المختلفة التي حاولت تفسير حركة التاريخ (التغيير الاجتماعي)

العنصر الرابع: التاريخ والعلاقات الاجتماعية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية: هي أن شبكة العلاقات الاجتماعية عامل من عوامل صناعة التاريخ.

العنصر الخامس: أصل العلاقات الاجتماعية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: أن شبكة علاقات المجتمع هي سجل تاريخه وإذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما وكيفا في شبكة علاقاته.

العنصر السادس: طبيعة العلاقات

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: إن فعالية التغيير الاجتماعي مشروطة بتكامل شبكة العلاقات بين الأفراد وبعضها، وبين الأفراد والأفكار وبين الأفراد والأفكار والأشياء.

العنصر السابع: الثروة الاجتماعية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: إذا كانت ثروة مجتمع معين يتوقف تقديرها على كمية أفكاره من ناحية، فإنها مرتبطة بأهمية شبكة علاقاته من ناحية أخرى.

العنصر الثامن: المرض الاجتماعي

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: أن التمزق والتفكك في شبكة العلاقات الاجتماعية، هو المرض الاجتماعي الذي يجهز على كل حضارة.

العنصر التاسع: المجتمع و القيمة الاخلاقية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: أن القيمة الثقافية الخلقية تعتبر عنصر جوهري في وجود شبكة العلاقات الاجتماعية اللازمة لميلاد مجتمع.

العنصر العاشر: الدين والعلاقات الاجتماعية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: أن الدين هو الباعث للقيمة الثقافية الخلقية.

العنصر الحادي عشر: شبكة العلاقات والجغرافيا

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: تأثير البيئة الجغرافية على الإنسان وتفكيره وخياراته وعلاقاته و كذا عقيدته.

العنصر الثاني عشر: العلاقات الاجتماعية وعلم النفس

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: ضرورة دراسة السلوك البشري بما هو نفسي وتفسير هذا السلوك (نفسيا - اجتماعيا).

العنصر الثالث عشر: فكرة التربية الاجتماعية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: أن غاية التربية الاجتماعية هي تفعيل قيمة العلاقات الاجتماعية في نفوس الأفراد وهي تستمد القواعد العامة لها من علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس. وإن للجانب التاريخ أكبر الأثر.

العنصر الرابع عشر: شبكة العلاقات الاجتماعية والاستعمار

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: ضرورة الإنتباه لإستراتيجيات الاستعمارية التي تستعملها في تمزيق شبكة العلاقات الاجتماعية لأجل هدم المجتمع.

العنصر الخامس عشر: الدفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعية

لابد للمجتمع أن يضع في أولوية إهتماماته تدعيم شبكة العلاقات الاجتماعية والدفاع عنها ضد كل ما يهدد ترابطها وتماسكها.

العنصر السادس عشر: الشروط الأولية للتربية الاجتماعية

تمحور هذا العنصر حول فكرة أساسية هي: ينبغي أن نهى في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصوره من حلول لمشكلاتنا.

قائمة مصادر: وضم مسرد الآيات- مسرد الأحاديث-مسرد الأعلام -مسرد الشعوب والجماعات والمذاهب- مسرد المؤتمرات والمعاهدات والإتفاقيات-مسرد المراجع والمصادر- مسرد الموضوعات.

ومن مزايا هذا الكتاب أن مالك بن نبي كان يختم كل عنصر من العناصر بخلاصة ويمهد به للعنصر الذي يليه. إيراد الأفكار الرئيسية بخط سميك يجذب تركيز القارئ و في الأخير هناك فهرس.

2- الكتاب الثاني: شروط النهضة

عنوان الكتاب: شروط النهضة

تأليف: مالك بن نبي

الترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين

الناشر: دار الفكر الواعي للنشر و التوزيع(وزارة الثقافة)

سنة النشر: 2013

الطبعة: الطبعة الاولى

مكان النشر: روية- الجزائر

سلسلة: مشكلات الحضارة

أ- العرض التحليلي لشكل الكتاب:

يحتوي على 175 صفحة من القطع المتوسط بيضاء. تتصدر الواجهة صورة مالك بن نبي. وعند استبعاد المقدمات والمسارد يصبح عدد الصفحات المعنية بالتحليل 158 صفحة. ويحوي:

- وصية الأستاذ مالك بن نبي.
- مقدمة الطبعة الفرنسية (مترجمة) بقلم الدكتور عبد العزيز الخالدي.
- مقدمة الطبعة العربية.

مقسم إلى ثلاث أبواب الباب الأول: الحاضر والتاريخ، والباب الثاني: المستقبل وأخيرا باب الاستعمار والشعوب المستعمرة -المعامل الاستعماري، مقسمة لعدد من الموضوعات المتنوعة التي لا تجعله نمطي أو ممل.

ب- العرض تحليلي للمضمون الكتاب:

❖ **الموضوع العام للكتاب:** ويدور حول الشروط الضرورية لقيام نهضة حضارية متوازنة في المجتمعات الإسلامية، وكيفية خروجها من مزالق التخلف والتبعية والالتحاق بركب الحضارة بالتركيز على قيمة الانسان والتراب والوقت والفكرة الدينية في قيام النهضة الحضارية.

❖ **محتوى الكتاب:** ثلاثة أبواب

🚩 **الباب الأول:** الحاضر والتاريخ: من الصفحة 15 الى الصفحة 36.

تمحور حول فكرة أساسية هي: دور الابطال والأفكار الإصلاحية والسياسة في إحداث حركات التغيير.

🚩 **الباب الثاني:** المستقبل: من الصفحة 37 الى الصفحة 142.

تمحور حول فكرة أساسية هي: العناصر الأساسية التي تقوم عليها الحضارة وأثر الفكرة الدينية في تأسيس الحضارة.

■ من التكديس إلى البناء:

من أجل الانتقال من منهج التكديس إلى البناء الحضاري الحقيقي، لابد من تحقيق تركيبة الناتج الحضاري التالية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت. وفق العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها بعض: الفكرة الدينية.

■ الدورة الخالدة:

■ إن تاريخ الحضارات والأمم عبارة عن دورة تتسلسل فيها مراحل مختلفة. لذا حل مشكلة أمة ما ينطلق من تحديد مكانتها ضمن هذه الدورة وضرورة العودة لنقطة البداية المشكلة وليس معالجة أعراضها.

■ العدة الدائمة:

■ رجل الحضارة زاده الدائم هو "التراب والوقت والإرادة" وما عدا ذلك من الحضارة المادية، ليس عناصر أولية التي تبنى بها الحضارة وإنما من منتجاتها. فالحفاظ عليها متعلق بالحفاظ على القيم الخالدة.

■ أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة

■ وتدور حول التحليل النفسي لدورة الحضارة، وتطرق للنظريات تفسير الحضارة و قام بانتقادها. وقام بتوضيح كيف تبنى الفكرة الدينية الإنسان ليقوم هو ببناء الحضارة.

■ عناصر النهضة:

عناصر النهضة الثلاث (الإنسان - التراب - الوقت) موجودة في المجتمعات العربية والإسلامية لكنها تعاني مشكلات، وهي تحتاج للتوجيه.

العنصر الأول: الإنسان

إن الإنسان يؤثر في مجتمعه بثلاثة مؤثرات وهي: الفكر، العمل، المال، فإن تحسين وتفعيل دوره في بناء الحضارة يكون بتوجيه المؤثرات المذكورة توجيهها سليماً إختصاراً للجهد والوقت.

أ- توجيه الثقافة: وتمحورت حول:

- لابد لنا من تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي مما فيه من رواسب المورثة. وتتم عملية التصفية وفقا: لتحديد سلبي، وتحديد إيجابي.
- إن قيمة الثقافة الحقيقية تتمثل في ممارسة وظيفتها الاجتماعية و التربوية.
- عرف الثقافة في التاريخ.
- عرف الثقافة في التربية: هي مركب اجتماعي مكون من عناصر: الأخلاق والجمال، المنطق العملي والفنون التطبيقية.
- كل عنصر من الثقافة يؤدي وظيفة توجيهية للإنسان (تربية).

■ التوجيه الاخلاقي:

إن وظيفة الأخلاق الاجتماعية تهذيب الغرائز، فالأخلاق شرط لتنظيم العلاقات الاجتماعية، فلا بد لها من توجيه نحو المصلحة العامة؛ إذا كلما حدث خلل بالقانون الخلقي في مجتمع معين، حدث تمزق شبكات العلاقات الاجتماعية.

■ التوجيه الجمالي:

إن توجيه الذوق الجمالي يكمل عمل المبدأ الاخلاقي، فهو يطبع الصلات الاجتماعية بطابع خاص، ينعكس على نفسية الفرد والذوق العام للمجتمع. إلا أن الأولوية لهذان المبدآن تختلف من مجتمع للآخر. فالثقافة الإسلامية يتحدد نشاطها الاجتماعي على مبدأ الأخلاق قبل غيرها بينما الغربية الأساس الأخلاقي أولا.

■ المنطق العملي:

إن المجتمع الإسلامي يتكلم تبعا لمبادئ القرآن، وليس كما يظن البعض يعيش طبقا لمبادئ القرآن، لأن سلوكه يفتقد لوجود منطق عملي (الفعالية) فهو يقول كلاما ولا يعمل به. فنحن بحاجة إلى تنمية في ذهن الفرد عن طريق الوسائط التربوية.(التخطيط-التنسيق - الفعالية).

■ الصناعة:

يقصد مالك بهذا العنصر كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، لا بد من إيجاد المناخ الثقافي التربوي لتوجيه التعليم المهني والصناعي (مجلس للتوجيه)، لأن لكل حرفة قيمة اجتماعية. فالصناعة هي التي تعطي الوسائل لبقية المبادئ لتحقيق غاياتها (الأخلاقي-الجمالي-منطق العمل).

■ المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي في بناء الحضارة:

العلاقة العضوية التكاملية الترابطية بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي تحدد طابع الثقافة وإتجاه الحضارة وتصبغه على حياة أفراد المجتمع.

ب- توجيه العمل:

توجيه كافة جهود المجتمع أفراد وجماعات، ومهما كان موقع وطبيعة عمل أو جنس أو سن كل فرد من أجل تغيير وضع الإنسان وبناء مجتمع الحضارة، ثم بعدها يستقل كل فرد بكسب عيشه. (مرحلة ميلاد مجتمع).

ج- توجيه رأس المال:

وضح مالك بن بني فيه عدة نقاط:

- التفريق بين المال والثروة.

- المال لديه وظائف اجتماعية، لذلك ينبغي توجيهه من ناحيتي الكم والكيف.

- ضرورة تحريك المال وتنشيطه من أجل تنشيط الفكر والعمل والحياة في المجتمع.

- توجيه الثروة والمال يحتاج لإيجاد برنامج تربوي.

د- مشكلات أخرى مرتبطة بالإنسان:

أضاف مالك بن نبي إلى المشكلات المرتبطة بالثقافة والعمل ورأس المال ومشكلات أخرى.

■ مشكلة المرأة:

وضح مالك بن نبي فيه عدة نقاط:

- مشكلة المرأة لا تتفصل عن مشكلة الرجل، فلا داعي لإقامة موازنة بين المرأة والرجل.
- سيطرة الغريزة على الإتجاهين (تحرير والتضييق على المرأة).
- يمكن استبعاد الدافع الغريزي وتقديم مصلحة المجتمع، ويكون ذلك بأن كل من الرجل والمرأة دورهما المناسب.
- قضية المرأة قضية مجتمع، فتقليد المرأة العربية لأختها الغربية بزيها وأسلوب عيشها يزيد من تعقد مشكلتها.
- حلها يكون عن طريق التنشئة السليمة، والتي يتضح من خلالها الادوار المنوطة بها. ولا بد للمرأة العربية أن تفهم مشكلتها وتضع لها حلول بنفسها.

■ مشكلة الزي:

الزي عامل ضروري في تحقيق التوازن الأخلاقي داخل المجتمع، فهو لديه أثر كبير على نفسية وسلوك مرتديه. فلا بد أن يتناسب ودستور الأخلاق والجمال، لذا علينا أن نختار لباسا يتناسب مع مقتضيات المجتمع من حيث دستور الجمال ووضعنا الاقتصادي والقيام بالواجبات والشعائر.

■ الفنون الجميلة:

يطرح مالك بن نبي اشكال هنا هو أية قيمة تربوية يمكن أن تحملها الفنون في مجتمعاتنا العربية؟ إنها خالية من القيم التربوية إنما تمثل مظاهر الكسل والخمول

والمجون لذا لابد أن نعيد توجيهها حتى تتوافق مع الذوق الجمالي والأخلاقي وكذا ادخار المال والجهد.

العنصر الثاني: التراب

إن للتراب بعد اجتماعي، وقيمته مستمدة من قيمة مالكيه. إن الإنسان الواعي والناضج الذي يستخدم التراب والزمن وفق المنطق العملي السليم، بإمكانه التغلب على أصعب المشكلات التي تواجهه وتواجه مجتمعه خاصة إذا كانت الجهود جماعية.

العنصر الثالث: الوقت

تتم الاستفادة منه واستغلاله وتحويله إلى ثروة في مناطق، ويمر مرور الكرام ويصير عدما في مناطق أخرى. إن الوسيلة الحضارية الضرورية التي من شأنها أن تعيد لشعوبنا احترامهم لقيمة الوقت، هي التربية، التي تساعد الإنسان على التخطيط الزمني وتوزيع الأعمال والالتزام بأدائها في وقتها وبشكل مستمر ومنتظم بين ما هو فردي وجماعي.

🚩 الباب الثالث : الاستعمار والشعوب المستعمرة -المعامل الاستعماري-:

ويتمحور حول فكرة رئيسية هي: الإنتباه لسياسة المستعمر الذي يعمل على الإنتقاص من قيم الفرد الإيجابية، وتحليل قابلية الشعوب للاستعمار، وضرورة التكيف مع مجرى الحضارة الإنسانية.

أ- معامل القابلية للاستعمار:

وهو أحد العوامل الخارجية المثبطة للنهضة، لابد من رفضه وإزاحته، وضح مالك ذلك في نقاط:

- يستهدف الاستعمار الإنسان في الشعب المستعمر.
- يحاول أن يقتل في المجتمع مواهبه واستعداداته ويحول دون تحولها إلى قيمة فعالة.

- الإقلال من قيمته المعنوية والنفسية كي يفقد الثقة في نفسه ويركن الى الذل والهوان. فيتحول هذا المعامل الخارجي إلى معامل داخلي يجعل الفرد يرضى بالاستعمار ولا يسعى للتغيير.
- فهو معامل وضع أمام قيمة الفرد من الشعوب المستعمرة، بقصد التقيص من قيمته الإيجابية ، وتجريده من فعاليته.
- ليس شر كله فهو نزع الغطاء على الشعوب النائمة لتعود للحياة، والدخول في الدورة التاريخية والحضارية.

ب- مشكلة التكيف:

تمثل التكيف مع ثقافة المستعمر في ثلاث صور: تقليد الشباب المسلم أو التطرف الإسلامي التام أو اللامبالاة، الأمر الذي شتت تصوراتنا ووجهتنا وأخل بتوازننا. والحل هو التربية. وذلك بوضع برنامج يساعدنا على التكيف وفقا لثقافة شاملة يحملها الغني والفقير، والجاهل والعالم، لنحقق الاستقرار والانسجام مع مجتمعاتهم الذي إستوى على توازنه الجديد.

■ **مسرد المسارد وضم:** مسرد الآيات- مسرد الأحاديث- مسرد الأعلام -مسرد الشعوب والجماعات والمذاهب-مسرد المؤتمرات والمعاهدات والاتفاقيات- مسرد المراجع و المصادر- مسرد الموضوعات.

ثالثا: أداة تحليل المضمون:

تعرف الأداة على أنها" الوسيلة المستخدمة في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها، وهناك كثير من الوسائل والأدوات التي تستخدم في الحصول على البيانات"¹. واستخدمت الباحثة أداة تحليل المضمون، باعتباره "تقنية بحثية للوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر للاتصال، وتتميز هذه الأداة بأربع سمات رئيسة تتمثل

¹ محمد شفيق، البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1996، ص

بالانتظام والموضوعية والوصف والكمية¹. وقد كانت الأداة من تصميم الباحثة فمن خلالها حاولت تصنيف المواضيع لمجموعة فئات تبرزها بواسطة عدة مؤشرات، وهذا بتحليل وتفكيك كل عنصر على حده لمعرفة مضمونه.

1- خطوات بناء أداة التحليل:

أ- تحديد هدف من الأداة:

جاء هذا تحليل لإجابة عن أسئلة الدراسة ولتحقيق الأهداف التالية:

- الكشف عن المواضيع والمشكلات التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي.
- التعرف على المواضيع والمشكلات التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي.
- إبراز المواضيع والمشكلات التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي.

ب- تحديد مصادر الأداة:

وقد تم بناء هذه الأداة التي تضمنت القضايا التربوية المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة للمفكر مالك بن نبي، وفقا للمصادر التالية:

- القراءة الواسعة والمتكررة الدراسات الأكاديمية والاستفادة منها.
- الاستعانة ببعض المختصين في الفكر التربوي لمالك بن نبي.
- القراءة المتكررة لكتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة.

2- وحدة التحليل:

تعرف وحدات التحليل بأنها " الوحدات التي يتم عليها العد أو القياس مباشرة، وهذه الوحدات تتبلور في نموذج بناء رموز المحتوى الذي يبدأ بالفكرة، ثم يتم اختيار الوحدات اللغوية للتعبير عن هذه الفكرة وصياغتها وبعد ذلك يأخذ المحتوى الشكل الذي ينشر فيه على الصفحة²."

¹ محمد الوفائي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1989، ص149.

² محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، عالم الكتب، القاهرة، 2010، ص 139.

أما فئات التحليل (Categories) فتعرف بأنها: " عبارة عن أجزاء أصغر تجتمع فيها وحدة الصفات أو الخصائص أو الأوزان، وتعتبر بعد ذلك جيوب أو مستودعات يضع فيها الباحث كل ما يقابله من وحدات تجتمع فيها هذه الصفات أو الخصائص أو الأوزان من خلال الإطار النظري لمشكلة البحث"¹.

وقد إختارت الباحثة فئة الموضوع كوحدة للتحليل وتعد هذه الوحدة "من أكثر الوحدات شيوعا واستخداما، ولأن تناول الفكرة كوحدة تحليل يفيد في تحديد الاتجاهات والأحكام التي تقع على المحتوى، حيث يتم اختيارها وبنائها بدقة لتخدم المعنى الذي يهدف الكاتب إلى توصيله للقارئ"².

ونعرفها في هذه الدراسة:

هي كل المواضيع والمشكلات التي يمكن جمعها تحت موضوع واحد، سواء أكان الموضوع اجتماعيا أم أخلاقيا، أو ثقافيا، وله علاقة بالعملية التربوية أكان ذلك بشكل ضمني أم واضح. "فالموضوع هو الوحيد الذي قد يكون فئة ووحدة في نفس الوقت، إذا يمكن استعماله كوحدة عن طريق حساب المواضيع التي قد يحملها المحتوى"³.

وقد جاءت فئات التحليل على النحو الآتي:

■ فئة القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي:

- بناء المجتمع.
- التربية الاجتماعية.
- شبكة العلاقات الاجتماعية.
- التغيير الاجتماعي.
- مشكلات النظام الاجتماعي.

¹ محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، المرجع السابق، ص 99.

² عصام موسى، تطور الصحافة الأردنية: (1920-1997م)، الجمعية العلمية الملكية، عمان، 1998، ص 35.

³ يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، طاكسيج - كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007، ص 89.

■ فئة القضايا التربوية المتعلقة النظام الأخلاقي:

- القيمة الخلقية المفهوم.
- الوظيفة الحضارية للدين.
- الوظيفة النفسية للدين.
- الوظيفة الاجتماعية للدين.
- مشكلات النظام الأخلاقي.

■ القضايا التربوية المتعلقة النظام الثقافي:

- الثقافة المفهوم.
- وظيفة الثقافة.
- عناصر النهضة.
- معوقات النهضة.

رابعاً: الخصائص السيكومترية لأداة التحليل:

■ صدق الأداة:

تم الاعتماد في قياس الصدق علي الصدق الظاهري للأداة من حيث قدرتها على الإجابة عن التحليل لتحقيق أهداف البحث، وتحقق ذلك من خلال عرض الأداة علي مجموعة من المحكمين*، الذين أشادوا بصلاحياتها للتطبيق، وأنها تقيس ما يفترض قياسه بعد تعديل بعض الملاحظات والمتمثلة في:

ضبط بعض المفاهيم في المؤشرات واختصار قائمة الفئات لتجنب التداخل أثناء التحليل.

*المحكمين: المشرف الدكتور بلال بوترعة، إضافة للدكتور عمر النقيب، بقسم فلسفة التربية، علم اجتماع، جامعة بوزريعة، الجزائر.

■ ثبات الأداة:

."الثبات يعني من الناحية النظرية ضرورة الوصول إلى اتفاق كامل في النتائج بين الباحثين الذين يستخدمون نفس الأسس والأساليب على نفس المادة"¹.

ويقصد بثبات التحليل في هذه الدراسة هو إتساق تحليل مضمون كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة، خلال فترة الدراسة، بين الباحثة وباحثة أخرى*.

وقد استخدمت الباحثة معامل الثبات هولستي، لقياس درجة الإتساق في التحليل حيث قامت باحثة أخرى بإعادة تحليل عينة الدراسة، سبق أن حللتها الباحثة، وبلغت نسبة معامل الثبات 80%، وهي نسبة عالية من حيث درجة الثبات التي يحصرها هولستي بين: 0.78 و 0.95.

خامسا: الأساليب الإحصائية:

لتحليل محتوى الكتابين عينة الدراسة تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية :

النسبة المئوية= عدد التكرارات x 100 / مجموع التكرارات.

معامل الاتفاق باستخدام معادلة هولستي لحساب ثبات الأداة.

$$\text{معامل الاتفاق} = \frac{2(أب)}{أ + ب}$$

(أب) = مجموع المؤشرات التي وردت عند المحللين.

أ = عدد المؤشرات التي وردت في تحليل المحللة الأولى (الباحثة) .

ب = عدد القيم التي وردت في تحليل المحللة الأخرى.

¹ محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، المرجع السابق، ص 211.

*المحللة الثانية: الأستاذة بدر الدين بشرى، أدب عربي.

* خلاصة الفصل:

مما سبق يمكننا تلخيص أهم ما جاء من إجراءات منهجية؛ فقد تم تحديد منهج الدراسة بالمنهج الوصفي المستعين بأسلوب تحليل المحتوى؛ وقد استخدمت الدراسة العينة القصدية كتابي: ميلاد مجتمع، شروط النهضة، تم طرح توصيف للعينة شكلا ومضمون بطرح العناصر الكتابيين على شكل أفكار أساسية تم إدراجها ضمن فئات الموضوع، فقد كانت أداة جمع البيانات عبارة عن استمارة تحليل المضمون تم تصميمها من طرف الباحثة، وذلك لجمع بيانات الدراسة القائمة؛ وقد استعملت الصدق الظاهري لتأكد من صدق الأداة ومعادلة هولستي لحساب الثبات، بينما استعملت التكرارات والنسبة المئوية(%) لمعالجة النتائج المحصل عليها موضحة بالتفصيل في الفصل الموالي. وقد تمت هذه الدراسة خلال السنة الدراسية الجامعية: 2016/ 2017 .

وكما يمكننا القول من خلال تحليل الكيفي لجزئيات موضوعات الكتابيين:

أنها لا تعتمد على التدرج لكنها تعتمد أكثر على الترابط والتواصل مع المحور العام للكتاب رغم تنوعها وتعددتها. بالكتابيين استخدام واسع للأمثلة والحكايات سواء التاريخية أو الدينية لتقريب وجهة نظره للقارئ فقد كان ذلك مناسبا للموضوع. والكتابيين في مجملهما يدور موضوعهما حول تشخيص واقع المجتمعات الإسلامية عن طريق تحليل: المجتمع التاريخي(المجتمع الإسلامي) وتوجيه عناصر النهضة(الانسان- التراب - الوقت) ربطه بالجوانب الدينية. وقد تناول الكتابيين عددا من القضايا التي تخص النظام الاجتماعي والنظام الأخلاقي وقضايا تخص النظام الثقافي والتي لها علاقة بالتربية.

الفصل الخامس

معرض و تحليل نتائج الدراسة

* تمهيد

أولاً: عرض نتائج الدراسة

- 1- عرض نتائج التساؤل الأول
- 2- عرض نتائج التساؤل الثاني
- 3- عرض نتائج التساؤل الثالث
- 4- عرض نتائج التساؤل العام

ثانياً: تحليل نتائج الدراسة

- 1- تحليل نتائج التساؤل الأول
- 2- تحليل نتائج التساؤل الثاني
- 3- تحليل نتائج التساؤل الثالث
- 4- تحليل نتائج التساؤل العام

ثالثاً: النتائج العامة

* تمهيد:

العرض والتحليل هي المرحلة الأخيرة التي يجب فيها الباحث على كل التساؤلات المرتبطة بأهداف الدراسة، فالتحليل لا يتم بمعزل عن النتائج الكمية التي يتوصل إليها الباحث من خلال الإجراءات المنهجية، لذا سيتم عرض النتائج ثم تحليلها حسب ترتيبها.

أولاً: عرض نتائج الدراسة

1- عرض نتائج التساؤل الأول:

وينصّ التساؤل الأول على ما يلي:

" - ما هي أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟".

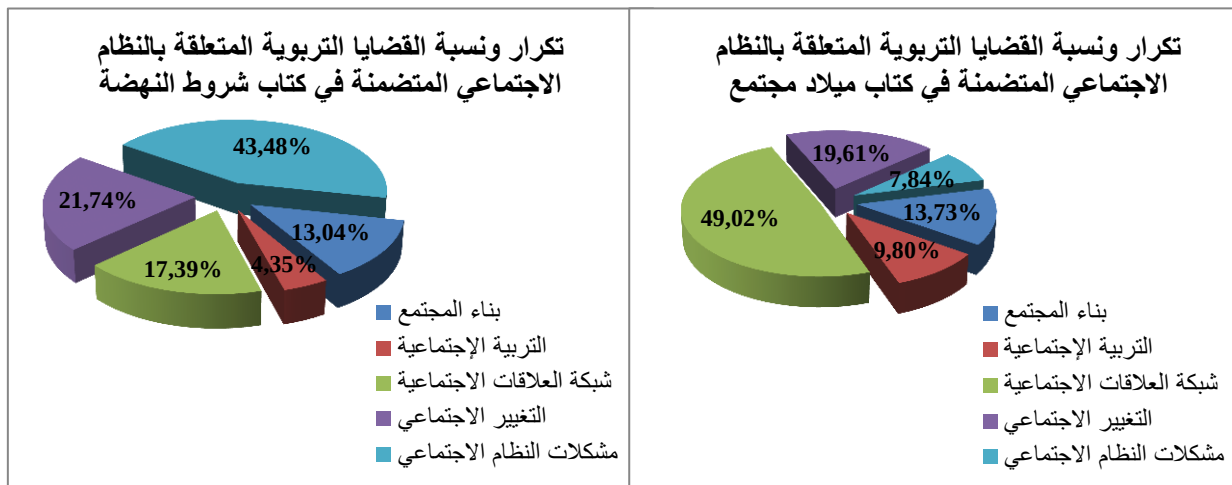
*يوضح الجدول رقم (02): تكرار ونسبة القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة

الفكرة	ميلاد مجتمع		شروط النهضة	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
النظام الاجتماعي	07	%13.73	03	%13.04
	05	%9.80	01	%4.53
	25	%49.02	04	%17.39
	10	%19.61	05	%21.74
	04	%7.84	10	%43.48
	51	%100	23	%100
المجموع				

يتضح من الجدول رقم (02) أن نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي والمتضمنة في كتاب ميلاد مجتمع تراوحت بين 49.02% و 7.84% وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا المتعلقة بشبكة العلاقات الاجتماعية بنسبة 49.02% وتليها على التوالي: التغيير الاجتماعي بنسبة 19.61%، بناء المجتمع 13.73%، التربية الاجتماعية بنسبة 9.80%، مشكلات النظام الاجتماعي بنسبة 7.84%.

بينما تراوحت نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي والمتضمنة في كتاب شروط النهضة بين 43.48% و 4.53%. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا المتعلقة مشكلات النظام الاجتماعي بنسبة 43.48%، وتليها على التوالي: التغيير الاجتماعي بنسبة 21.74%، بناء المجتمع بنسبة 13.04%، شبكة العلاقات الاجتماعية بنسبة 17.39%، والتربية الاجتماعية بنسبة 4.53%.

*يوضح الشكل رقم (01): تكرار ونسبة القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة



2- عرض نتائج التساؤل الثاني:

وينص التساؤل الثاني على ما يلي:

" ماهي أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟".

*يوضح الجدول رقم(03): نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة

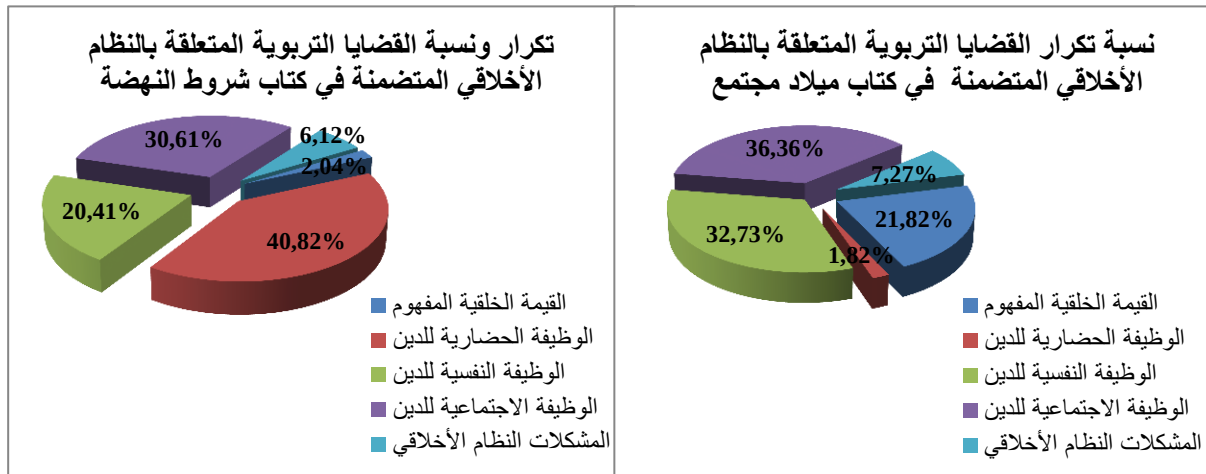
الفكرة	ميلاد مجتمع		شروط النهضة		
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
القيمة الخلقية (المفهوم)	12	%21.82	01	%2.04	النظام الأخلاقي
الوظيفة الحضارية للدين	01	%1.82	20	%40.82	
الوظيفة النفسية للدين	18	%32.73	10	%20.41	
الوظيفة الاجتماعية للدين	20	%36.36	15	%30.61	
المشكلات النظام الأخلاقي	04	%7.27	03	%6.12	
المجموع	55	%100	49	%100	

يتضح من الجدول رقم(03) أن نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي والمتضمنة في كتاب ميلاد مجتمع تراوحت بين %36.36 و %1.82. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا المتعلقة بالوظيفة الاجتماعية للدين بنسبة %36.36 وتليها على التوالي: الوظيفة النفسية للدين بنسبة %32.73، القيمة الخلقية (المفهوم) بنسبة %21.82، المشكلات النظام الأخلاقي بنسبة %7.27، الوظيفة الحضارية للدين بنسبة %1.82.

بينما تراوحت نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي والمتضمنة في كتاب شروط النهضة بين %40.82 و %2.04. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا

المتعلقة بالوظيفة الحضارية للدين بنسبة 40.82% وتليها على التوالي: الوظيفة الاجتماعية للدين بنسبة 30.61%، الوظيفة النفسية للدين بنسبة 20.41%، المشكلات النظام الأخلاقي 6.12%، القيمة الخلقية (المفهوم) بنسبة 2.04%.

*يوضح الشكل رقم (02): نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة



3- عرض نتائج التساؤل الثالث:

وينص التساؤل الثالث على ما يلي:

" ما هي أهم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟".

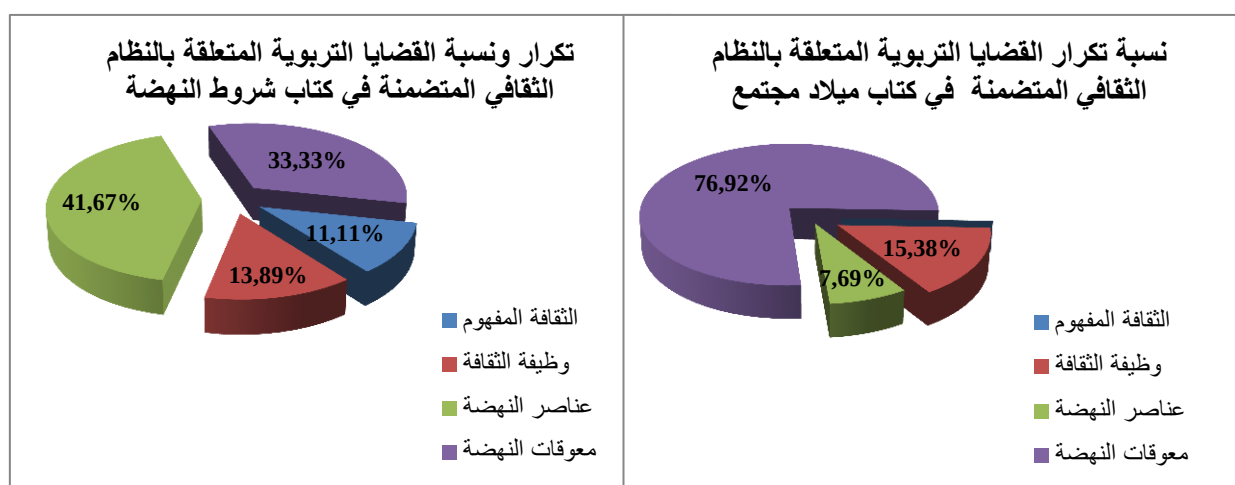
*يوضح الجدول رقم(04): نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي المتضمنة كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة

الفكرة	ميلاد مجتمع		شروط النهضة		
	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
الثقافة (المفهوم)	00%	00	11.11%	04	النظام الثقافي
وظيفة الثقافة	15.38%	02	13.89%	05	
عناصر النهضة	07.69%	01	41.67%	15	
معوقات النهضة	76.92%	10	33.33%	12	
المجموع	100%	13	100%	36	

يتضح من الجدول رقم (04) أن نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي والمتضمنة في كتاب ميلاد مجتمع تراوحت بين 76.92% و 00%. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا المتعلقة بمعوقات النهضة بنسبة 76.92% وتليها على التوالي: وظيفة الثقافة بنسبة 15.38%，عناصر النهضة بنسبة 07.69%，الثقافة (المفهوم) بنسبة 00%.

بينما تراوحت نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي والمتضمنة في كتاب شروط النهضة بين 41.67% و 11.11%. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا المتعلقة عناصر النهضة بنسبة 41.67%. وتليها على التوالي: معوقات النهضة بنسبة 33.33%，وظيفة الثقافة بنسبة 13.89%，الثقافة المفهوم الثقافة (المفهوم) بنسبة 11.11%.

*يوضح الشكل رقم (03) : نسبة تكرار القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي المتضمنة كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة



4- عرض نتائج التساؤل العام:

وينص التساؤل الرئيس على ما يلي:

" ما هي أهم القضايا التربوية في فكر مالك بن نبي والمتضمنة في كتابيه ميلاد مجتمع وشروط النهضة؟"

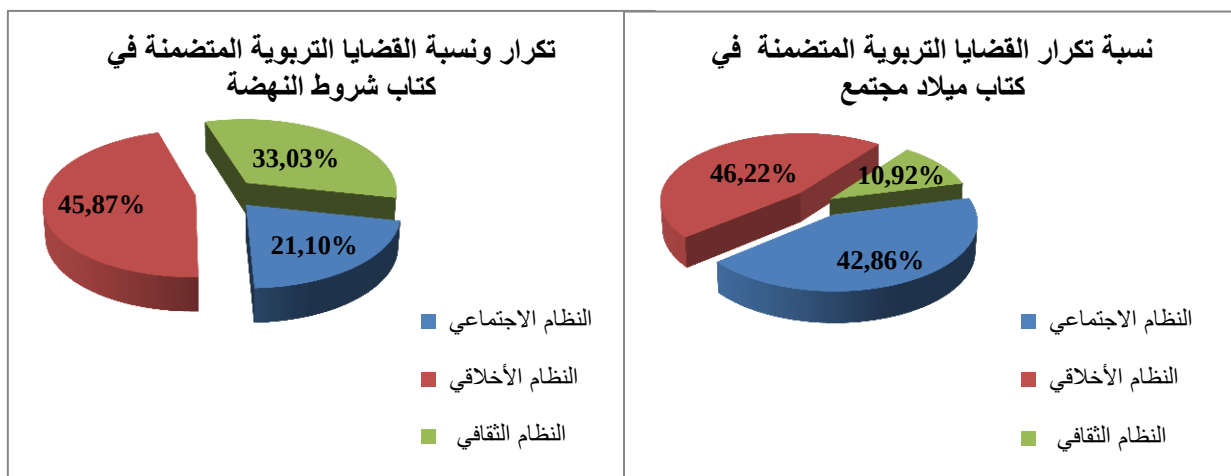
الجدول رقم (05) يوضح مجموع القضايا التربوية المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة

شروط النهضة		ميلاد مجتمع		الكتاب القضايا التربوية
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
21.10%	23	42.86%	51	النظام الاجتماعي
45.87%	49	46.22%	55	النظام الأخلاقي
33.03%	36	10.92%	13	النظام الثقافي
100%	108	100%	119	المجموع

يتضح من الجدول رقم (05) أن نسبة تكرار القضايا التربوية المتضمنة في كتاب ميلاد مجتمع تراوحت بين 46.22 % و 10.92 %. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي حيث بلغت بنسبة 46.22 % وتليها على التوالي: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي بنسبة 42.86 %، ثم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي بنسبة 10.92 %.

كما يتضح لنا أن نسبة تكرار القضايا التربوية المتضمنة في كتاب شروط النهضة تراوحت بين 45.87 % و 21.10 %. وأن أعلى نسبة تكرار كانت للقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي حيث بلغت بنسبة 45.87 %، ويليهما على التوالي: القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي بنسبة 33.03 %، ثم القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي بنسبة 20.10 %.

الشكل رقم (04) يوضح مجموع القضايا التربوية المتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة



1- تحليل نتائج التساؤل الأول:

من خلال عرض نتائج التساؤل الأول يتضح لنا تعدد القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي والمتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة لمالك بن نبي، إلا أن المواضيع المتعلقة بشبكة العلاقات الاجتماعية كان له النصيب الأكبر من النسبة الكلية في القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في كتاب ميلاد مجتمع ، والتي فاقت بقية الأفكار الأخرى بنسبة 49.02%. ويليهما موضوع التغيير الاجتماعي بنسبة 19.61% لقد إهتم مالك بن نبي بنوع العلاقات حتى يستطيع تمرير فكرة التغيير؛ لأن هناك مجتمعات لا تقبل التغيير والتغيير فيها يسير ببطيء لأنها تتمسك بكل ما هو قديم وكل ما هو جديد مرفوض لديها. وقد احتل موضوع بناء المجتمع بنسبة 13.73% المرتبة الثالثة بين القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي، يليها موضوع التربية الاجتماعية بنسبة 9.80% ليأخذ موضوع مشكلات النظام الاجتماعي أدنى نسبة 7.84%؛ ويرجع ذلك إلى المحور الذي يدور حوله موضوعات الكتاب هو دور العلاقات الاجتماعية و هو الأشمل والأعم في بناء المجتمع المتحضر(التاريخي).

فالنظام الاجتماعي هو بناء يتألف من مجموعة من الأدوار الاجتماعية المترابطة التي تنتظم مع بعضها لتسهم في تحقيق هدف معين. مثال: النظام التربوي بناء يتألف من ترابط وتناسق بين الأدوار الوظيفية للطلبة والأساتذة والإداريين، والوزارة، ولكل فئة دور يحقق وظيفة لهذا النظام فيتشكل البناء الكلي للنظام التربوي ويحقق وظيفته للمجتمع وهي التربية والتعليم. حيث يؤدي الترابط الوظيفي بين النظم الاجتماعية إلى تحقيق التوازن الاجتماعي.

فقد كان الشغل الشاغل لمالك بن نبي هو كيفية بناء مجتمع متحضر للإنسان متحضر وفي نفس الوقت كيفية المحافظة عليه وتطويره ،وتوجيهه نحو الأفضل حتى يعود للدورة التاريخية في الحضارة الإنسانية. حيث خلص أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العنصر الحاسم في الربط بين العوالم الثلاث: عالم الأشخاص وعالم الأفكار، وعالم

الأشياء. فإذا تم هذا التفاعل والربط بين هذه العوالم، فلا بد لنا من معرفة مشكلات النظام الاجتماعي حتى لا تبقى تنخر البناء العام للمجتمع.

فالقضية المحورية التي شغلت الكثير من الباحثين في الدراسات التربوية المعاصرة هي مشكلة كيفية تكوين شبكة علاقات اجتماعية سليمة. حيث اعتبر الباحثون التربية وسيلة لتنمية هذه الشبكة؛ فمن خلال التربية يدرك الفرد كيفية القيام بأدواره الاجتماعية وبالتالي إقامة علاقات جيدة وسليمة، يتم هذا من خلال معرفة الأدوار والمراكز والمعايير الاجتماعية التي تساعد الفرد ليندمج في البناء الاجتماعي العام ويساهم في تطويره واستمراره، فالتربية هي التي تنتج العلاقات الاجتماعية، وتشكل الوعي الاجتماعي والثقافي.

فالفرد لا يعيش لوحده بل حياته مع مجتمعه وبمجتمعه، وهذا المجتمع لا يملك الحياة كلها بل هو حلقة مترابطة في حركة الأجيال، فعليه أن يسلم الأمور سليمة لمن بعده. فالنظام الاجتماعي للتربية يهتم بكل جوانب حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة. وهو يقوم على التكامل بين الأفراد كل له وظيفة محددة يكمل بعضهم بعضا. والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل. ومن خلال العلاقات القوية يتكون المجتمع ويهيئ المحضن السليم لتربية الأجيال.

والتربية بوصفها نسق فرعي من البناء العام للمجتمع، تملك نظام اجتماعي يتكون من فاعلين اجتماعيين، يتفاعلون فيما بينهم وفق قواعد وقيم ومعايير، لتحقيق أهداف محددة، فالتربية مسؤولة عن التوجيه الفرد نحو تحقيق المصالح الجماعية، فهي تمثل المحضن لتجمع الأفراد الذين يطورون فيما بينهم علاقات متنوعة، والتي تسمح بإنشاء روابط اجتماعية قوية. حيث يقوم النظام الاجتماعي بالحفاظ على بناء المجتمع من خلال موازنة طموحات ورغبات وحاجات عناصر المجتمع (أفراد، جماعات، نظم اجتماعية) مع أهداف وغايات الكيانات الاجتماعية (التنظيمات أو المؤسسات). فمن خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينشئها الفرد مع محيطه يكتسب أبجديات التربية الأولية وقيمه ومعاييره وشخصيته. وبمقارنة هذه النتائج في ضوء نتائج الدراسات السابقة، فقد تبين أن هذه الدراسة تتفق مع دراسة مغاشو عبد القادر - بوعرفة أحمد (2008) في نتيجة أن

النظام الاجتماعي هو إطار للفهم والتفسير. بمعنى أننا نستطيع فهم وتفسير الكثير من الأمور التي يعكسها لنا النظام الاجتماعي، وكمثال على ذلك: جهل الفرد بدوره في المجتمع، وكذا عدم قيامه بواجباته حتما سينعكس بشكل مباشر على الوسط الذي يعيش فيه الفرد وعلى علاقاته وتفاعله.

ويتضح من النتائج أن موضوع مشكلات النظام الاجتماعي كانت أعلى نسبة تكرار في كتاب شروط النهضة بنسبة 43.48%، يليها موضوع التغيير الاجتماعي بنسبة 21.74%، وترتب موضوع شبكة العلاقات الاجتماعية في المرتبة الثالثة بنسبة 17.39%، أما موضوع التربية الاجتماعية فقد حصل على أقل النسب وهي 4.53%.

يرجع هذا لأن فكر مالك بن نبي كان منصب على تحليل المشكلات الاجتماعية باعتبار أن تشخيص هذه المشكلات والتي تخص عنصر الإنسان نقطة بداية لعلاجها بدل من تشخيص أعراضها؛ ولقد اعتمد مالك بن نبي في تحليله منهج وآليات خاصة تساعده في الدراسة الشاملة لجميع المؤثرات والدوافع الفردية والاجتماعية المرتبطة به. وهو يرى أنها نتاج خلل تطبيقي في المنهج الاجتماعي وعلاجه لا يتم إلا من خلال تطوير المنهج الاجتماعي ككل ووضع الخطط المناسبة لعلاج تلك المشكلات. وقد اعتمد مالك بن نبي في تحليلاته للمشكلات الاجتماعية على ثلاث أنواع من التفسير: التفسير التاريخي، التفسير النفسي، التفسير الاجتماعي.

2- تحليل نتائج التساؤل الثاني:

من خلال عرض نتائج التساؤل الثاني يتضح لنا تعدد القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي والمتضمنة في كتابي ميلاد مجتمع وشروط النهضة لمالك بن نبي، إلا أن موضوع الوظيفة الاجتماعية للدين كان له النصيب الأكبر من النسبة الكلية في القضايا المتعلقة بالنظام الأخلاقي والتي فاقت بقية الأفكار الأخرى في كتاب ميلاد مجتمع بنسبة 36.36% وتليها الوظيفة النفسية للدين بنسبة 32.73%، تليها القيمة الخلقية (المفهوم) بنسبة 21.82%، بينما جاءت نسبة موضوع الوظيفة الحضارية للدين 1.82%، و كانت أدنى نسبة من نصيب موضوع المشكلات النظام الأخلاقي في المرتبة الثالثة بنسبة 7.27%

وجاءت نسبة الوظيفة الحضارية للدين في كتاب شروط النهضة مرتفعة بنسبة 40.82%، وتليها الوظيفة الاجتماعية للدين بنسبة 30.61%، فمالك يريد أن يوضح من خلالها كيفية تأثير الفكرة الدينية في التربية الاجتماعية التي بفضلها يستطيع الفرد الاندماج والتكيف داخل مجتمعه. وبالتالي يستطيع تكوين شبكة علاقات قوية ومتماسكة ليصل بفضل الدافع الأخلاقي لدرجة التضحية بالنفس لأجل الدفاع عليها. بينما احتلت الوظيفة النفسية للدين المرتبة الثالثة بنسبة 20.41%، فقد مالك أرد مالك بن نبي يكشف لنا كيف تتدخل الفكرة الدينية في بناء وتعديل شخصية الفرد بشكل عام. أما أضعف نسبة كانت من نصيب موضوع مشكلات النظام الأخلاقي بنسبة 06%، تليها القيمة الخلقية (المفهوم) بنسبة 6.12%.

ويرجع ذلك لأن إهتمام مالك بن نبي كان منصب على توضيح الدور النفسي الاجتماعي والحضاري للفكرة الدينية وفعاليتها في تطوير المجتمع أكثر من بقية القضايا التي تم التفصيل فيها مواطن أخرى، وقد إستند في تحليله على الاعتبارات النفسية الاجتماعية بالإضافة إلى الاعتبارات التاريخية. حيث تتبع مالك كيفية عمل الفكرة الدينية في التاريخ من خلال تتبع الحقائق التاريخية، وكذا وظيفتها النفسية والاجتماعية عن طريق التحليل والتركيب.

الأمر الذي يؤكد على أهمية حرص مالك بن نبي على تزويد القارئ بخلفية نظرية عن أهمية النظام الأخلاقي في بناء النفسي والاجتماعي للفرد وكذا مساهمته في بناء الحضاري للمجتمعات، وذلك عن طريق تزويده بمعارف متعددة حول الموضوعات الدينية بأسلوب ثقافي يعكس النظرة الشمولية للمعرفة التعليمية، وهي في هذا تساعد في زيادة الحصيلة المعرفية لدى القراء.

يدعم هذه الفكرة بقوله: "...الاعتبارات هذه تبين لنا كيف "تشرط" الفكرة الدينية سلوك الانسان حتى تجعله قابلا لإنجاز رسالة "محضرة" غير أن دور الفكرة الدينية لا يكفي بالوقوف عند هذا الحد. — فهي تحل لنا مشكلة نفسية اجتماعية أخرى، ذات أهمية أساسية تتعلق باستمرار الحضارة. غير أن النشاط الاجتماعي لا يكون مثمرا، فعلا وقابلا

للبقاء والاستمرار إلا مع وجود "سبب" معين، يكون من شأنه أن يشرط الطاقات التي يحركها هذا السبب بغائية معينة"¹.

إن أهمية الدين والفكرة الدينية في حياة الأفراد والمجتمعات كبيرة جداً، لأنها تشبع حاجة الفرد إلى الإمتثال للمعايير المرغوبة في قيم المجتمع. الأمر الذي جعل مالك بن نبي لا يسقط الفكرة الدينية من جميع مناقشاته وكتاباتاته، وإذا كان الدين في نظر البعض عامل تخدير وجمود وتخلف فعنده عامل تركيب وتأليف بين عوامل وشروط ولوازم البناء الحضاري.

إن للتربية الدور الرئيسي في تنشئة وتوجيه الجانب الأخلاقي في الفرد، فالتربية عملية يكتسب الأفراد من خلالها الحكم الخلقى والضبط الذاتي لهم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم. وترجع أهمية التربية في حياة الإنسان إلى ما تغرسه في أعماقه من قيم ومثل توجه سلوكه وتصرفاته، وإلى ما ينشأ بفعلها لدى الإنسان من حب للآخرين، ومن ثم حب الإيثار، واحترام للقيم والمثل الأخلاقية التي يقرها المجتمع.

" وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف (أنا) الفرد، ثم في توجيه هذه الطاقة تبعاً لمقتضيات النشاط الخاص بهذه (الأنا) داخل المجتمع تبعاً للنشاط المشترك الذي يريده المجتمع في التاريخ"².

لذا يتوجب على من المتخصصين في مجال التربية أن يولوا هذا الجانب اهتماماً أكبر، وأن يزدوا من التركيز على الجانب الأخلاقي حين تسطير البرنامج التربوي والتوجيهي لهذه للقضايا التربوي؛ حتى تكون أشبه بوسيط فعال وحقيقي لنشر الأخلاق عن طريق الحث على الممارسة العملية لها، لأنها خير وسيلة للقضاء على مظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي، وكذلك لنشر ثقافة الإسلام التي تقوم على أساس الخلق القويم.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 79.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 74.

حيث أن الحديث عن الفكرة الدينية في المجال التربوي، يبرز لنا القاعدة والقوانين الأخلاقية التي تزرعها التربية في النشء، ومحاولة رد الشبهات والمزاعم المسيئة للإسلام، وكذلك بيان شموليته وصلاحيته. وإن الارتقاء بالأخلاق والسلوك الإنساني هو الهدف الأساس للحضارة.

وبمقارنة هذه النتائج في ضوء نتائج الدراسات السابقة، فقد تبين أن هذه الدراسة تتفق مع دراسة سعدي الهادي (2008)، ودراسة العابد ميهوب (2014) في أن الفكرة الدينية عند "مالك بن نبي" هي الغذاء الروحي في بناء الأشخاص بناءاً سليماً. بمعنى أن الفكرة الدينية تقوم بربط الفرد بما هو روحي وأخلاقي. لذا وجب وجود مناهج يمكننا من خلالها فهم الدين فهماً صحيحاً. فهو ليس دعوة للتطرف ولا الخنوع إنما هو مصدر الاستقرار النفسي والاجتماعي والحضاري.

3- تحليل نتائج التساؤل الثالث:

من خلال عرض نتائج التساؤل الثالث يتضح لنا أن موضوع معوقات النهضة كان له النصيب الأكبر من النسبة الكلية في القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي والتي فاقت بقية الأفكار الأخرى في كتاب ميلاد مجتمع بنسبة 76.92%، تليها وظيفة الثقافة بنسبة 15.38%، بينما جاءت نسبة موضوع عناصر النهضة ضعيفة بنسبة 07.69%، إلا أن نسبة موضوع الثقافة (المفهوم) فقد بلغت نسبتها 00% وهي أقل نسبة في قائمة التحليل.

ويرجع هذا إلى أن فكر مالك بن نبي ينطلق أساساً من سؤال ما هي أسباب تقهقر المسلمين؟ وما هي شروط النهضة ليستعيد المسلمون دورهم وفاعليتهم المفقودة؟ وقد كان تشخيص أمراض العالم الإسلامي عند مالك بن نبي مقدمة للبحث عن العلاج، أو للبحث عن أسس النهضة، وكيف تبدأ؟ ومن أين تبدأ؟.

يشير مالك بن نبي لبعض تلك المعوقات التي تعرقل النظام الثقافي الحضاري عن أدى وظيفته بشكل جيد أولئك "الأساتذة المتساهلون في الحضارة هم في الواقع شر أعداء التقدم: إنهم قوارض، يقرضون جوهر الحضارة ذاته، كما تقرض الفئران كومة من

القمح، لتحيله غير صالح لشيء. فإذا احتجنا اليوم أن نعد في بلادنا دفاعاً من أجل الحضارة، فمن الواجب أن يكون دفاعاً ضد هذه القوارض.¹

وأيضاً "وإنما تختان الحضارة إذا ما فارق دعائها سبيلهم التي يسلكونها لأداء نشاطهم المشترك. واتبعوا سبلاً وطرائق متخالفة، تجعل النشاط مستحيلاً: فسبل تنسل إلى حظيرة التصوف، وأخرى تتحدر إلى عالم العجائب الذي هبت منه الريح ألف ليلة وليلة وثالثة تختار طريق الرقص والغناء بدعوى أنها تحضر".²

ومن خلال القراءة الكمية تبين أن موضوع عناصر النهضة إحتل أعلى نسبة تكرار من نصيب القضايا المتعلقة بالنظام الثقافي في كتاب شروط النهضة بنسبة 41.66%. حيث ركز مالك بن نبي على توضيح منهج للإصلاح والتربية والتوجيه بمحاولة إيجاد نظرية ذات محددة للأهداف والوسائل والتخطيط لمراحل النهضة. فأساس كل ثقافة هو بالضرورة (تركيب) و(تأليف) لعالم الأشخاص طبقاً لمنهج تربوي، أي أننا نريد للثقافة أن تكون وظيفة لبناء جيل مسلم تقوم على أكتافه الحضارة الإسلامية. فلا بد من برنامج تربوي لتوجيه الثقافة.

فقد نظر مالك بن نبي لإنسان على أنه هو الفاعل الحقيقي لأي إنتاج. واعتبر عامل الزمن الشرط الثاني لعملية النهضة إذا حسن استغلاله، إضافة للتراب والمقصود به ليس الإنتاج المادي، بقدر ما يرمز لأي شكل من أشكال الإنتاج.

"أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها".³

وعلى ما تقدم فإننا نؤكد القول بأنه إن لم تقم دراسة المشكلات التربوية بما تحويه من برنامج ثقافي بشكل جاد ودقيق فسيكون ذلك سبباً في اهتزاز صورة الأمة في نظر

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 97.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، المرجع نفسه، ص 98.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 50.

الآخرين، بل سيتمد الأمر إلى أن تتخلى الأمة عما يميزها ، ويزيل سماتها التي تتميز بها بين الأمم والثقافات الأخرى ، فيجعلها تابعة بعد أن كانت قائدة، بل سيصل الأمر بالأمة إن لم تهتم بثقافتها وتعلمها وتعلمها بالشكل الصحيح والدقيق إلى الاضمحلال ثم الزوال وهذه هي الكارثة التي يخشى مالك بن نبي و نحن أن تحل بأممتنا.

4- تحليل نتائج التساؤل العام:

من خلال عرض نتائج التساؤل العام نلاحظ أن القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي كانت لها النسبة الأعلى والتي بلغت بمجملها نسبة 46.22% في كتاب ميلاد مجتمع، وبلغت في كتاب شروط النهضة نسبة 45.87%.

فحصلنا على مثل تلك النسب المرتفعة للقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي والتي تصل إلى نصف المادة المتضمنة في كلا الكتابين تقريبا، هذا يؤكد لنا على تصدر الأخلاق المرتبة الأولى في القضايا التربوية التي تخص الفرد والمجتمع والحضارة في فكر مالك بن نبي. ولهذا دلالاته الإيجابية والتي تتمثل في التركيز القائم على المجال الأخلاقي في مضمون الكتابين على هذا الموضوع المهم (الفكرة الدينية)، والذي يعتبر في مقدمة أولويات البرامج التربوية بشكل عام.

نفهم من هذا أن جل الأفكار التربوية في كتاب ميلاد مجتمع وشروط النهضة حول الفكرة الدينية، تمحورت حول فكرة أساسية هي وظيفة الدين الحضارية والاجتماعية، والنفسية على مستوى الفرد والمجتمع، فهو يرى أن مرض المجتمع الحديث لا يمكن شفاؤه إلا بثورة روحية في قلوب بني البشر وعقولهم. فالعلل الاجتماعية لا تعالج بالتغيرات المؤسسية، بل إن العلاج الناجي والشافى هو علاج روحي، لأن كل مؤسسة اجتماعية تقوم على فلسفة أو دين.. لذا يمكننا الوصول من خلال هذه النتيجة الأساسية لعدة نتائج هي أن مالك بن نبي يعتبر الفكرة الدينية:

❖ هي التي تقوم بالتركيب الاجتماعي في شكل قيم أخلاقية وعادات وتقاليد وقوانين وغيرها.

❖ لها وظيفة نفسية اجتماعية وكذا الحضارية ذات فعالية في بناء المجتمعات و تطورها.

❖ خلاص أن الفكرة الدينية هي العنصر الحاسم في الربط بين عناصر النهضة: الإنسان، الوقت، التراب.

❖ للحفاظ على الوظيفة النفسية والاجتماعية والحضارية للدين؛ لابد من منهج تربوي يعزز فعالية الفكرة الدينية في توجيه الطاقة الحيوية في الفرد لتوفير الوسط الذي يتشكل فيه الفرد والجماعة ويقوم بتوجيهه.

❖ وإن الفكرة الدينية تثبت في روح معتنقيها الأخلاق الرفيعة.

❖ وأن الدين هو المركب الحقيقي لعناصر الحضارة وللقيم الاجتماعية والذي يخلق الشبكة الروحية التي تربط المجتمع.

- احتلت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي المرتبة الثانية في كتاب ميلاد مجتمع بنسبة 42.86%، ؛ فجاءت ذات مضامين متسقة، ومفاهيم واضحة وأهداف تربوية اجتماعية مرسومة بدقة تعين على علاج مشكلات المجتمع بغية إصلاحها وتوضيح كيفية تكيف ودمج الفرد داخل المجتمع وإحياء دور الفرد في المجتمع. أما القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي فجاءت في المرتبة الثالثة؛ حيث تحصّلت على نسب متدنية مقارنة بالنسب التي حصلت عليها القضايا التي سبقتها، بلغت 10.92% ورغم أنه جانب مهم كذلك، إلا أن مالك بن نبي أشار إليه بشكل سطحي؛ وربما يرجع ذلك إلى مالك بن نبي في كتاب ميلاد مجتمع كان يركز على هيكلي، ولم يدرجها على أساس آلية من آليات التربية.

وهذا يدل على أن مالك يحاول إعطاء القارئ خلفية نظرية حول شروط وآليات بناء مجتمع متحضر كذا لفت انتباهه لمقومات مشروع تربية إنسان الحضارة، حيث تمحورت جل القضايا حول عنصر أساسي اعتبره مالك هو المركب الأول للجمع بين العوالم الثلاثة التي تكون ميلاد مجتمع. خلاصنا من خلال هذه الفكرة إلى عدة نتائج تتمثل في أن مالك بن نبي يعتبر شبكة العلاقات الاجتماعية داخل النظام الاجتماعي في الوسائط التربوية:

❖ هي العنصر الحاسم في الربط بين العوالم الثلاث: عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء.

❖ فلا تربية بدون عالم الأفكار ولا علاقات اجتماعية متماسكة وقوية دون تربية صحيحة.

❖ إن إرتفاع المسلم إلى مستوى الحضارة لا بد له من تعلم كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية.

❖ إن لشبكة العلاقات الاجتماعية أهمية كبرى في تحليل آليات بناء المجتمع التاريخي باعتبارها أول عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات.

❖ ولولا قوة شبكة العلاقات الاجتماعية لما استطاع المجتمع الإسلامي الإقلاع باتجاه الحضارة.

- احتلت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في كتاب شروط النهضة المرتبة الثانية بنسبة 33.03 %، وقد يرجع ذلك لتركيز مالك بن نبي على فكرة توضيح الشروط الضرورية لقيام نهضة حضارية متوازنة في المجتمعات الإسلامية، وكيفية خروجها من مزالق التخلف والتبعية والالتحاق بركب الحضارة بالتركيز على قيمة الانسان والتراب والوقت في قيام النهضة الحضارية و تركيبها وفقا للفكرة الدينية، وكذا توضيح كيفية العمل على توجيهها. بينما تحصّلت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي على نسبة ضعيفة نسبيا مقابل بقية القضايا الأخرى بنسبة بلغت 20.10 %.

فجاءت في المرتبة الثالثة، وهذا راجع لأن القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في كتاب شروط النهضة تمحورت حولها بقية الأفكار، وهي تدور حول فكرة أساسية وهي: عناصر النهضة وأهم شروطها، حيث جاء فكره في كتاب شروط النهضة إصلاحية تغييرية. بمعنى إدخال التغيير وتوجيه عناصر كيان قائم وموجود، مما جعله يبتعد عن قضايا البناء والتي فصل فيها في كتاب ميلاد مجتمع. وقد خلصت الباحثة من خلال هذه الفكرة إلى عدة نتائج، منها:

- أن مالك بن نبي حصر العناصر المكونة للحضارة في ثلاثية هي: الإنسان والوقت والتراب.

- أولى مالك بن نبي عناية بالغة بالإنسان في معالجته لمشكلات الحضارة انطلاقاً من قيمته ودوره في التاريخ.
- الإنسان يؤثر في مجتمعه بثلاث مؤثرات هي: الفكر، والعمل، والمال وكل هذه المؤثرات تحتاج للتوجيه (التربية).
- توجيه عناصر النهضة يجنبنا الإسراف في الجهد والوقت.
- ينبه مالك بن نبي على ضرورة التركيز على قيمة الوقت والتراب الاجتماعية.

ثالثاً: النتائج العامة

بعدما قامت الباحثة بإجراء التحليلات الإحصائية على البيانات التي تم الحصول عليها من تحليل المضمون وفق أداة الدراسة، وقيامها بالتعليق على النتائج كان لا بد أن تضع في نهاية هذا البحث جملة من النتائج النهائية التي توصلت إليها في هذه الدراسة، حيث خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- بالنسبة للقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي تحصلت على المرتبة الأولى في كلا الكتابين، حيث تمحورت جل الأفكار التربوية بهما حول الفكرة الدينية.
- بينما ترتبت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في المرتبة الثانية في كتاب ميلاد مجتمع، وكانت شبكة العلاقات الاجتماعية محور جل الأفكار التربوية في هذا الكتاب.
- أما بالنسبة للقضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي، جاءت في المرتبة الثانية في كتاب شروط النهضة، وتمحورت جل الأفكار التربوية حول عناصر النهضة وكيفية وتوجيهها.
- إحتلت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي في كتاب ميلاد مجتمع المرتبة الثالثة؛ وتمحورت في مجملها حول المشكلات التربوية الناتجة عن النظام الثقافي وهو جانب مهم كذلك، إلا أنه أشار إليه بشكل سطحي في كتابه هذا؛ ويرجع ذلك إلى أن مالك بن نبي كان بصدد وضع آليات بناء إنسان الحضارة والمجتمع المتحضر.
- إحتلت القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي في كتاب شروط النهضة المرتبة الثالثة، يرجع هذا إلى أن فكر مالك بن نبي كان منصب على تحليل المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالإنسان.

المراجع

قائمة المراجع

أولاً: الكتب

أ- كتب مالك بن نبي

- 1- مالك بن نبي (2009)، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر للنشر والتوزيع، سوريا.
- 2- مالك بن نبي (2013)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 3- مالك بن نبي (2011)، استشراق المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث الملتقى الدولي منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، د ط تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.
- 4- مالك بن نبي (2012)، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق.
- 5- مالك بن نبي (2013)، تأملات، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 6- مالك بن نبي (2013)، شروط النهضة، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 7- مالك بن نبي (2013)، قضايا كبرى، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 8- مالك بن نبي (2013)، مجالس دمشق، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 9- مالك بن نبي (2013)، ميلاد مجتمع، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 10- مالك بن نبي (2013)، مشكلة الثقافة، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية، الجزائر.
- 11- مالك بن نبي (2015)، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثامنة، بيروت.

ب- كتب حول مالك بن نبي

- 12- إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، د.ت.
- 13- أحمد بن بناسي (2014)، مدخل إلى فكر مالك بن نبي، منشورات بن مرابط، الجزائر.
- 14- بن ابراهيم الطيب (2002)، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف أفكار مشتركة، دار مدني، د.ط.
- 15- دوني كوش (2002)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة : قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- 16- زكي ميلاد (1998)، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة- دراسة تحليلية ونقدية-، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا.
- 17- سعيد ناصف (1997)، محاضرات في تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها - نماذج لدراسات وبحوث ميدانية-، مكتبة زهراء الشرق، مصر.
- 18- السيد على شتا (1977)، علم الاجتماع التربوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر.
- 19- عبادة عبد اللطيف (1984)، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، الطبعة الأولى، الجزائر.
- 20- عبد الرحمن عدس (1992)، البحث العلمي- مفهومه، أدواته، أساليبه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 21- عثمان محمد غنيم (2000)، مناهج وأساليب البحث العلمي -النظرية والتطبيق-، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان.
- 22- عصام موسى (1998)، تطور الصحافة الأردنية: 1920-1997م، الجمعية العلمية الملكية، عمان.
- 23- عمر نقيب (2009)، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي- نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الاسلامي المعاصر-الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر.

- 24- كنعان أحمد علي(1995)، شعر الأطفال في سورية دراسة في تحليل المضمون التربوي، اتحاد كتاب العرب، دمشق.
- 25- لؤي عبد الفتاح وزين العابدين حمزاوي(2010-1011)، أساسيات في تقنيات ومناهج البحث، جامعة محمد الأول، كلية العلوم الاجتماعية، وجدة، المغرب، السنة الجامعية، مطبوع جامعي.
- 26- محمد الوفاي(1989)، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 27- محمد بغداد باي(2007)، التربية والحضارة- بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، المحمدية، الجزائر.
- 28- محمد شفيق(1996)، البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- 29- محمد عبد الحميد(2010)، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، عالم الكتب، القاهرة.
- 30- مصطفى محمود أبو بكر(2003-2004)، الموارد البشرية مدخل لتعزيز القدرة التنافسية، الدار الجامعية، الإسكندرية.
- 31- مصطفى يوسف منصور، تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها، بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، الفترة: (2-3-4 2007).
- 32- مفيدة محمد إبراهيم(1999)، أزمة التربية في الوطن العربي، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن.
- 33- موسى لحرش (2012)، استراتيجية إستئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، ديوان المطبوعات الجامعية للطبعة الجهوية بقسنطينة، الجزائر، د ط.
- 34- مولود عويمر (2007)، مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري، دار الأمل، المدينة الجديدة، تيزي وزو، د ط، ج1.

35- ناني محسن احمد(ب ت) ، مقدمة عن القضايا والمشكلات المرتبطة بتأهيل المعاقين، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، ببور سعيد الدراسات العليا-الصف الثاني-، مجال تأهيل المعاقين.

36- يوسف تمار(2007)، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، طاكسيج - كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر.

ثانيا: المذكرات والرسائل الجامعية

37- حسن موسى محمد العقبي(1426هـ / 2005)، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

38- حمودة سعيدي(1980)، مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن بني، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر.

ثالثا: المعاجم

39- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري(1414هـ)، لسان العرب، باب: القاف، فصل الخاء، بيروت.

رابعا: مواقع إلكترونية

40- <https://ar.wikipedia.org/wiki> القضية الاجتماعية، بتاريخ: 2017/01/23. الساعة: 09:20.

41- <http://www.alnoor.se/article.asp?id=40576> بتاريخ: 2017/02/25، على الساعة: 21:18.

42- طارق عبد الرؤف عامر(2008)، أصول التربية- "الاجتماعية- الثقافية- الاقتصادية" <https://alhadidi.files.wordpress.com/>

43- محمد بغداد باي، محاضرات عن مالك بن نبي التربية في مشروع مالك بن نبي الحضاري مفهومها ومميزاتها، مقال على موقع مالك بن نبي،

<http://www.binnabi.net/infos/detail> بتاريخ: 2017/أفريل/25، الساعة: 16:22.

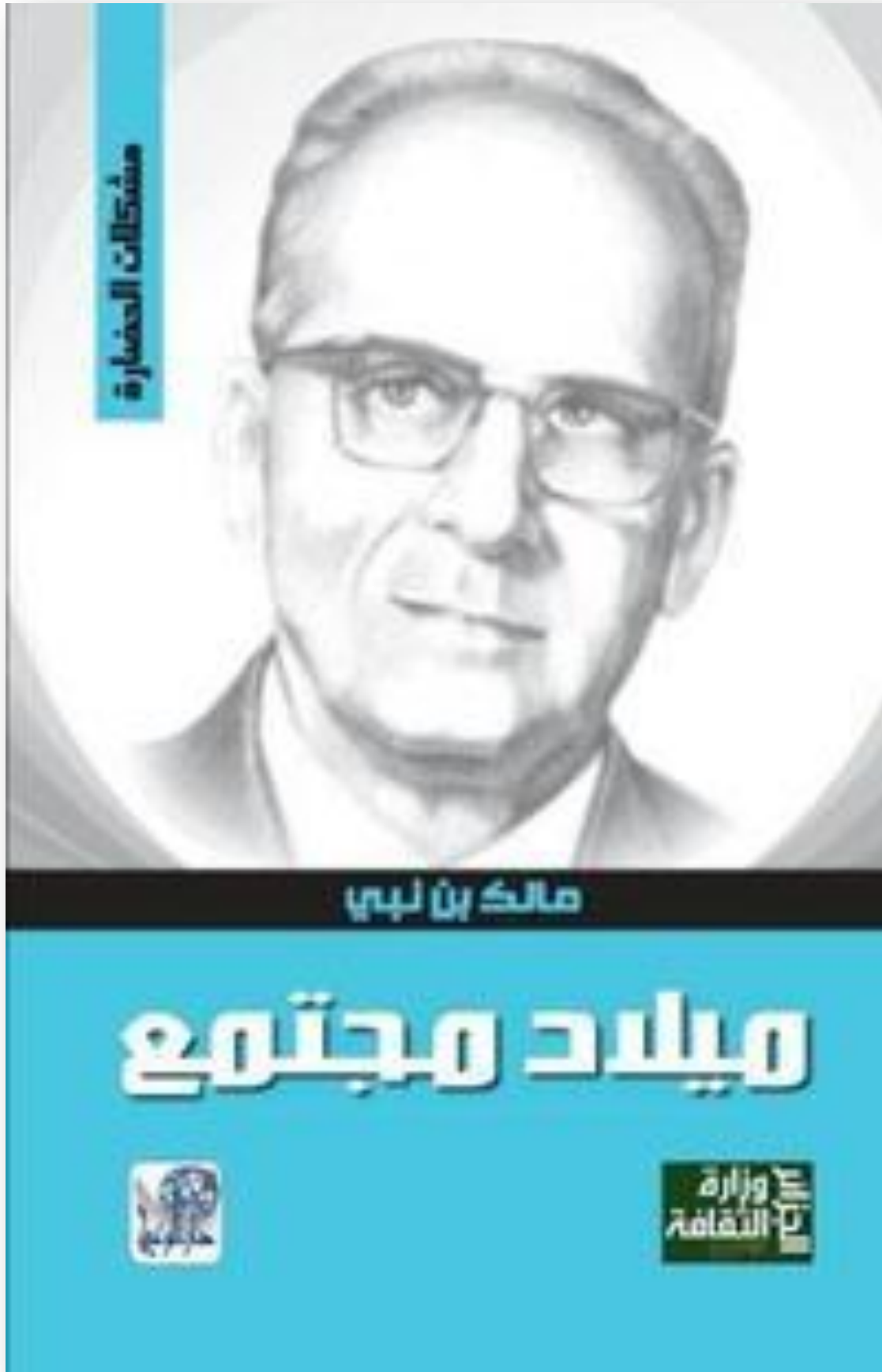
44- <http://www.alukah.net/web/khedr/0/51058> أهم الفروق بين المشكلة والقضية، د. أحمد إبراهيم خضر ،تاريخ الإضافة: 2013/3/2 ميلادي - 1434/4/19 هجري، تم الاطلاع بتاريخ: 2017/02/05، الساعة: 10:00.

الحل حق

الملحق رقم (01) أداة تحليل المضمون

كتاب شروط النهضة		كتاب ميلاد مجتمع		الفكرة	فئة الموضوع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
				المجتمع	القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الاجتماعي
				التربية الإجتماعية	
				شبكة العلاقات الاجتماعية	
				التغيير الاجتماعي	
				مشكلات النظام الاجتماعي	
				القيمة الخلقية المفهوم	القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الأخلاقي
				الوظيفة الحضارية للدين	
				الوظيفة النفسية للدين	
				الوظيفة الاجتماعية للدين	
				مشكلات النظام الأخلاقي	
				الثقافة المفهوم	القضايا التربوية المتعلقة بالنظام الثقافي
				وظيفة الثقافة	
				عناصر النهضة	
				معوقات النهضة	
				المجموع	

الملحق رقم (02) واجهة كتاب ميلاد مجتمع



الملحق رقم (03) واجهة كتاب شروط النهضة



مالك بن نهي

شروط النهضة

